وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة يحيى فارس المدية
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم: العلوم الانسانية
شعبة: تاريخ

العلاقات بين الدولتين الزيرية و الحمادية من خلال كتاب " نهاية الأرب في فتون الأدب " للنويري(ت 733)

مذكرة مقدمة للحصول على شهادة الماستر تخصص : تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

إعداد :
فاطمة الزهراء كفايفي

إشراف :
أ. د موسى هيصام

أعضاء اللجنة المناقشة

الإسم و اللقب	الصفة
حمزة عبد الصمد	رئيسا
موس هيصام	مشرفاومقررا
بغداد سحيري	مقيما

السنة الجامعية : 1445/1444 هـ / 2023 – 2024 م


بسم الله الرحمن الرحيم

شكر و عرفان

قال الله تعالي: {وَلِئنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَكُمْ}

نشكر الله ونحمده حمدا كثيرا ومباركا على هذه النعمة الطيبة والنافعة،نعمة العلم والبصيرة.

سيشرفني أن أتقدم بالشكر الجزيل والعرفان للأستاذ المشرف الدكتور موسى هيصام على ما قدمه لي من توجيات ونصائح ،حيث تلقيت من عنده كامل الدعم و حسن الإرشاد والتوجيه ،دون ان أنسي حرصه الشديد في اكمال العمل ، فله كل الشكر والتقدير والامتنان.

كما أتوجه بالشكر إلى الأساتذة الذين قدموا لي بعض التوجيهات والآراء حول موضوع مذكرتي ومنهم :عبد العزيز حاج كولة، العزيز، أمين كرطالي، حمزة عبد الصمد.

الإهداء

أهدي هذا العمل إلى الوالدين العزيزين حفظهما الله لي دون أن انسى الزوج الكريم ،و الإخوةوالاخوات الأعزاء، وإلى أبنائي عبد النور وأريج ابعد الله عنهم كل شر، الى كل أساتذة قسم العلوم الإنسانية - تاريخ – بجامعة يحي فارس بالمدية و إلى كافة الزملاء و الزميلات الذين جمعتني بهم فترة الدراسة.

المـقـدمـة

شهد المغرب الإسلامي قيام العديد من الدول، التي ميزها التواصل فيما بينها بشكل أو آخر، بعلاقات جمعت فيما بينها، بمظاهر متعددة سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية.

وهذا ما لمسناه بين الدولتين الزيرية والحمادية موضوع دراستي هذه، والذين كانا ظهورهما خلال القرنين (4-5هـ)(10-11م)، فكان قيام الدولة الزيرية بالمغرب الأدنى، والحمادية بالمغرب الأوسط، بعدما انفصلت هذه الأخيرة عن الزيريين بسبب الخلافات بين أبناء الأسرة الصنهاجية الواحدة حول تولي الإمارة، والاستحواذ على مناطق النفوذ والتحكم فيها، مما أدى إلى ظهور علاقات بينهما تميزت غالبا بعدم الاستقرار.

وهذا ما ركزت عليه كل المصادر، سواء التاريخية أو الأدبية، خاصة مصنف "نهاية الأرب في فنون الأدب" لشهاب الدين النويري المتوفى سنة 733هـ/1333م، والذي خصص الجزء الرابع والعشرين منه، لتاريخ بلاد المغرب الإسلامي، فاحتوى على معلومات قيمة عن العلاقات الزيرية الحمادية خلال العصر الوسيط.

ومن هنا كان موضوع مذكرتي، الموسوم بـ" **العلاقات بين الدولتين الزيرية والحمادية من خلال كتاب "نهاية الأرب في فنون الأدب" للنويري**".

- دواعي اختيار الموضوع:

- التعرف على الأسرة الصنهاجية المكونة للدولتين الزيرية والحمادية.
- الإطلاع على تاريخ الدولتين الزيرية والحمادية.
- التوصل إلى أي مدى وصلت العلاقات بينهما.

– تتبع مدى تأثير الهجرة الهلالية على العلاقة بين الدولتين.

–التأكد من مصداقية ما كتبه شهاب الدين النويري، عن العلاقات بين الدولتين، ومقارنتها مع مصادر أخرى.

–هدف الدراسة:

عملت في هذه المذكرة على تحقيق الهدف التالي:

– ابراز ماكتبه شهاب الدين النويري عن واقع العلاقات بين الدولتين الزيرية والحمادية،وكذلك معرفة الي أي مدي كان التواصل بينهما.

– إشكالية الدراسة:

انطلاقا مما سبق ذكره، قمت بطرح الإشكالية التالية:

– ما طبيعة وواقع العلاقات بين الدولتين الزيرية والحمادية، من خلال ما كتبه النويري ؟

وللإجابة عن هذه الإشكالية، طرحت التساؤلات التالية:

– من هو النويري؟ وما قيمة مصنفه؟ وكيف وصف العلاقة بين الدولتين الزيرية والحمادية؟ وهل وافقته المصادر الأخرى فيما ذهب إليه؟

– الدراسات السابقة:

انطلاقا مما توصلت في إحصاء وجمع الدراسات السابقة، التي لها علاقة بموضوع الدراسة، حصلت على بعض منها، وهي:

– موسى هيصام، الجيش في العهد الحمادي(405هـ–547هـ/1014م–1152م)، رسالة ماجستير،تونقشت بقسم التاريخ ، جامعة الجزائر2، سنة 2002، حيث تطرق فيها إلى بعض مظاهر العلاقات بين الدولتين في شقها المتميز بالتوتر، مثل معركة وادي شلف التي وقعت سنة(406هـ/1015م)، ومعركة سبيبة (457هـ/1065م).

أما فيما يخص المقالات العلمية، فكانت كالتالي:

1- الزرويل صالح، نفوسة الزيرية وورجلان الحمادية ق(5-6هـ/11-12م)، استفدت منها في عالتعرف على الوضع السياسي بعد انقسام العائلة الصنهاجية إلى دولتين.

2-بن سادات نصر الدين، المغربان الأدنى والأوسط تحت الحكم الزيري، أفادني كثيرا في العنصر المتعلق بالصلح بين الدولتيين، وتبادل السفارات.

- **المنهج المتبع:** اعتمدت في دراستي هذه على المنهجيين التاريخي والوصفي، لتوافقهما مع طبيعة المادة المرتبطة بالموضوع، وتحليلها واستخلاص النتائج المترتبة عنها، والتي تخص طبيعة وواقع العلاقات الزيرية الحمادية، من خلال المصنف المستهدف بالدراسة والمذكور أعلاه.

- **الخطة المتبعة:** قمت بتقسيم موضوع مذكرتي إلى: مقدمة وثلاثة مباحث، وذيلتها بملاحق، تخدم أهداف الدراسة ، وانتهاء بخاتمة ضمنتها أهم النتائج التي توصلت إليها.

- المبحث الأول: وعنوانه التعريف بالكاتب والكتاب، والدولتين الزيرية والحمادية وقسمته إلى بثلاث عناصر:

الأول ترجمة المؤلف، بذكر سيرته الذاتية والعلمية، مع التطرق إلى عصره السياسي والعلمي، وأدرجت في العنصر الثاني الدراسة الظاهرية والباطنية للكتاب، أما العنصر الثالث فركزت فيه على التعريف بالدولتين الزيرية والحمادية.

وجاء المبحث الثاني بعنوان العلاقة السياسية، واحتوى عنصر أول تمثل في انقسام الأسرة الصنهاجية إلى دولتين هما: الزيري الحمادية، وفي العنصر الثاني فتحدثت عن المواجهات الحربية بين الدولتين.

أما المبحث الثالث، فعنونته بـ: مظاهر تأثير العلاقة السياسية والعسكرية على الدولتين الزيرية والحمادية، ففي العنصر الأول الذي جاء بعنوان: الصلح والمصاهرة بين الأسرتين وأما العنصر الثاني بـ: تبادل السفارات بين الدولتين، أما الثالث فكان لتأسيس مدينة بجاية وأثرها في تطور العلاقات بينهما، وفي العنصر الأخير تتبعت الأخطار الخارجية التي أحدقة بالدولتين خلال تلك الفترة.

وخلصت إلى ختام دراستي هذه، حصر مجموعة من النتائج، معتمدة في ذلك على جملة من المصادر والمراجع، دون أن أهمل الملاحق التي استهدفت من إدراجها لتقديم نماذج عن واقع العلاقات بين الدولتين.

- تقييم لأهم المصادر والمراجع المعتمدة في الدراسة:

أولا- المصادر:

1- كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب لشهاب الدين النويري (ت.733هـ/1333م): وهو السند الأول لهذه الدراسة، باعتمادي رأسا على الجزء الرابع والعشرين من المصنف ومن خلاله استخلصت العلاقة بين الدولتين الزيرية والحمادية.

2- كتاب الطالع السعيد لأسماء نجباء الصعيد ،لأبي الفضل كمال الدين جعفر الأدفوي (ت.748هـ/1347م)، واعتمدت عليه في المبحث الأول في ترجمة حياة شهاب الدين النويري، كونه يعتبر من معاصريه.

3- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، لعبد الرحمان بن خلدون (ت. 808هـ/1405م)، وأفادني في التعرف على المواجهات العسكرية بين أمراء الدولتين.

4-كتاب البيان المُغرب في أخبار إفريقية والمغرب لابن عذارى المراكشي (ت.712/1312م)، ويعتبر من أهم مصنفات تاريخ بلاد المغرب، وأفادني أيضا في تتبع واقع العلاقات بين الدولتين في حالة الحرب أو السلم (الصلح).

5-كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير الجزري (ت630هـ/1233م)، معتمدة على أجزائه الثامن والتاسع، في المبحث الثالث.

ثانيا-المراجع: وتمثلت في مجموعة من المراجع التي خدمت موضوع مذكرتي بشكل مباشر أو غير مباشر، أذكر منهاعلى سبيل المثال لا الحصر:

1-كتاب :منهج النويري في نهاية الأرب في فنون الأدب" لعبد الحليم الندوي، وأفادني أكثر في المبحث الأول حول سيرة النويري، وعصره العلمي.

2-كتاب الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها لرشيد بوريبة، وقد أفادني هو الآخر في فهم وقائع المعارك وأحداثها.

- صعوبات البحث

- شحّ المعلومات عن الموضوع، إذ لا يوجد تفصيل في المصادر لطابع وشكل العلاقات بين الدولتين.

- صعوبة فرز الأحداث المتعلقة بالمعارك.

- صعوبة استخراج المعلومات من المصنف، واستخلاص منه ما يخدم بحثي.

شاكرة في الأخير لكل من ساعدني من قريب أو بعيد، وذلل لي الصعاب من أجل إنجاز هذه الدراسة، وعلى رأسهم أستاذي المشرف: أ.د/ موسى هيصام.

المبحث الأول: التعريف بالكاتب والكتاب والدولتين الزيرية والحمادية

1- ترجمة المؤلف:

أ- سيرته الذاتية

ب- سيرته العلمية

ج- عصره السياسي والثقافي

2- دراسة المصنف:

أ- الدراسة الظاهرية

ب- الدراسة الباطنية

ج- أهمية المصنف

2- التعريف بالدولتين الزيرية والحمادية

أ- الدولة الزيرية

ب- الدولة الحمادية

يعد مصنف: "نهاية الأرب في فنون الأدب" لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، من أضخم الموسوعات الكبرى، إذ يتضمن خلاصة التراث العربي الإسلامي في شقيه الأدبي والتاريخي، وأن مادته من أشمل الكتب التي جمع فيها صاحبها، بين الأدب والتاريخ، خاصة فيما يتعلق بالدول التي قامت في المغرب الإسلامي، وعلاقاتها مع بعضها البعض.

1- ترجمة المؤلف

أ- حياة النويري

سيرته الذاتية:

هو أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم[1]، أما كنيته فاختلفت المصادر التاريخية المترجمة له في ذكره، حيث يذكر ابن الثغري البردي في كتابه "النجوم الزاهرة": "شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الوهاب بن عبادة البكري النويري"[2].

أما ابن الحجر العسقلاني، فيذكر غير ذلك في كتابه "الدرر الكامنة": "أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم النويري"[1]، ونلاحظ هنا أن الاختلاف يكون في اسم الجد

[1] خير الدين الزركلي، الأعلام قاموس التراجم وأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم، لبنان1986م، ص108.

[2] جمال الدين أبو المحاسن ابن ثغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1942م، ج9، ص299.

وليس الأب، وهذا ما يقره البغدادي[2]، أما بالنسبة للأدفوي الذي عاصره فيقول:" أحمد بن عبد الوهاب بن عبد الكريم البكري، وينعت بشهاب الدين النويري المعتد"[3]، وهذا ما نجده في كتاب القمي[4]. أما النويري فيحسم لنا الأمر في كتابه نهاية الأرب في فنون الأدب بالقول: " أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم البكري التميمي القرشي"، أما الاختلاف الذي يكون في اسم جده، قام بتأكيده في نهاية السفر الأول من كتابه نهاية الأرب قائلا:" ننجز السفر الأول من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب، على يد مؤلفه فقير رحمة ربه، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم البكري التميمي القرشي"[5]، كذلك قام بتأكيده في عبارة أخرى: "محمد بن عبد الدائم في نهاية السفر الرابع، والسفر الخامس من الكتاب"[6].

[1]شهاب الدين أحمد بن علي ابن حجر عسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، دار المعارف، الهند، 1931م، ج1، ص197.

[2]إسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين وأسماء المؤلفين وآثار المصنفين، وكالة المعارف، اسطنبول، 1951م، ص108.

[3]أبو الفضل كمال الدين جعفر الأدفوي، الطابع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد، تح: سعد محمد الحسن، دار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، 1966م، ص96.

[4]عباس القمي، الكني والألقاب، مكتبة الصدد، طهران، د–ت، ج3، ص273.

[5]عبد الحليم الندوي، منهج النويري في كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الفكر، دمشق سوريا، 1987م، ص17.

[6]نفسه، ص18.

ومن هنا تتشكل شجرة نسبه من خلال ما قدمه لنا هو ومترجموه أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم البكري (نسبة إلى أبي بكر الصديق)[1] التيمي[2]، المعروف بالنويري والمكنى بأبي العباس[3].

ولد شهاب الدين النويري في 21 ذي القعدة 677هـ الموافق ل05 أفريل 1279م[4] بقرية النويرة[5]، أما الزركلي يثبت في كتابه أنه:" قوصي[6] المولد والمنشأ"[7]، ويوافقه في ذلك

[1]أبو بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه هو: عبد الله بن أبي قحافة عثمان القرشي التيمي رضي الله عنه، أول من آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم وبويع بعد وفاته في سقيفة بني سعد توفي سنة 13هـ وله 63سنة. للمزيد أكثر انظر: شمس الدين أحمد الذهبي ت 178هـ، سير أعلام النبلاء، تح: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، 1996م، ج خفاء الراشدون، ص7.

[2]التيمي: نسبة إلى بني تيمي بن مرّة وهم من أحد بطون قريش ومن أشهر رجالهم أبو بكر الصديق رضي الله عنهم ومحمد بن عمران بن إبراهيم بن طلحة. انظر: هشام بن محمد بن السائد الكلبي(ت604هـ)، جمهرة النسب، تح: ناجي حسن، مكتبة النهضة العربية، بيروت، 1986م، ص79.

[3]عبد الحليم الندوي، المرجع السابق، ص18.

[4]نفسه، ص 26.

[5]النويرة: هي إحدى قرى بني السويف بمصر. انظر: الزركلي، المصدر السابق، ص165.

[6]قوصي: هي مدينة حافلة بالأسواق متسعة المرافق كثيرة الخلق لكثرة الصادر والوارد من الحجاج والتجار اليمنيين والهنديين وتجار الحبشة لأنها محط الرحال ومجمع الرفاق وملتقى الحجاج المغاربة والمصريين والإسكندريين. انظر: محمد عبد الحاجي، قوص في تاريخ الإسلام، ص 41-42.

[7]الزركلي، المصدر السابق، ص108.

الأدفوي الذي عاصره فيثبت ذلك أن: "مولده ومنشأه بقوص"[1]. وهنا أقول أن النويرة لم تكن القرية التي ولد بها وإنما كانت موطن أجداده[2].

فيذكر الزركلي أن للنويري فضائل كثيرة حيث يقول:" كان ذكي الفطرة، حسن، فيه أريحية وود لأصحابه وله نظم يسير، ونصر جيد ويكفيه أنه مصنف لنهاية الأرب في فنون الأدب"[3]. وكذلك يقوم البردي بمدحه حيث يقول: " كان فاضلا، مؤرخا بارعا، وله مشاركة جيدة في العلوم"[4].

توفي شهاب الدين سنة 733هـ-1333م، هذا ما جاء في كتاب أبو الفداء[5]، ووافقه في في ذلك الأدفوي، في كتابه "الطابع السعيد والجامع أسماء نجباء الصعيد"[6]، أما ابن الثغري البردي، فيؤول وفاته إلى سنة 732هـ-1332م[7].

والسبب في وفاته، أنه حصل له وجع في أطراف أصابع يديه[8].

---

[1]الأدفوي، المصدر السابق، ص96.

[2]مصطفى أبو ضيف أحمد، تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1984م، ص10.

[3]الزركلي، المصدر السابق، ص165.

[4]ابن الثغري البردي، المنهل الصافي، ج1، ص 381.

[5]عماد الدين إسماعيل أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، تح: محمد زينهم عزب، دار المعارف، د-ت، ج4، ص124.

[6]الأدفوي، نفسه، ص97.

[7]ابن الثغري، المنهل الصافي، ج1، ص381.

[8]الأدفوي، نفسه، ص96.

ب-سيرته العلمية:

بدأ النويري تعليمه في مدينة قوص المصرية، فهي تعتبر من أكبر المراكز العلمية في تلك الفترة، لما كان فيها من العلماء والشيوخ، فتعلم بها الفقه والقرآن الكريم والحديث وغيرها من العلوم الرائجة في وقته، أما شيوخه الذين أخذ عنهم العلم[1]، نذكره منهم مايلي:

1-محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة حاكم الإقليمين مصر والشام، محدث فقيه مولده في شهر ربيع الآخر سنة635هـ/1237م بحمات، ولى قضاء القدس مدة ثم درس بالقمارية بدمشق ثم ولى قضاء القدس مرة ثانية، ثم نقل إلى قاضي القضاة بالديار المصرية وسار سيرة حسنة مات بمصر في ليلة الاثنين الحادي والعشرين من جمادى الأولى 733هـ/1332[2].

2-يعقوب بن أحمد يعقوب الحنبلي المعقلي: يشتهر كذلك بابن الصابوني سمع بدمشق والقاهرة وأجاز له البلداني وغيره، سمع منه البرزلي سنة 608هـ/1211م، تولى مشيخة الحديث بالمنكوتمرية ، وكان ذات سمة وعقل وديانة، مولده سنة 650هـ/1252م بحلب، وهي المعلومة غير الموكدة في أغلب المصادر، توفي يوم الخميس 22رجب سنة 720هـ/1319م بالقاهرة، بعد سنة ونصف من المرض، ودُفن بمقبرة باب النصر[3].

---

[1]أبو ضيف، نفسه، ص12.

[2]تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، تح: محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلي، دار الإحياء الكتب العربية، ، 1964م، ص ص 139-140.

[3]علاء الدين علي رضا، نهاية الاعتبار ممن رمى من الرواة بالاختلاط، دار الحديث، القاهرة، ط1988م، ص380.

3-زينب بنت المنجا: زينب بنت أحمد بن محمد بن عثمان بن المنجا التنوخية، سمعت عن زينب بنت مكي وغيرها وحدّثت، توفيت سنة نيف وخمسين وسبعمائة[1].

4-الشريف موسى: هو موسى بن علي بن أبي طالب بن عبد الله بن أبي البركات العلوي الحسيني عز الدين أبو القاسم الموسوي، ولد في ذي الحجة 628هـ/1230م، سمع حضورا من الفخر الأربلي ومن مكرم الموطأ، ومن ابن الصلاح السخاوي، وحدّث بالموطأ، وصحيح مسلم، وكان حسن الشكل، سكن مصر سنة 700هـ/1300م، فبقول يسمعون عنه صحيح مسلم حتى ذي الحجة سنة 7151هـ/1315م[2].

تولى شهاب الدين النويري منصب الكاتب في ديوان الإنشاء بالدولة المملوكية بمصر[3]، كما عُين من قبل الناصر محمد بن قالوون[4] نائبا في المدرسة الناصرية، التي أعتقل فيها ابن تيمية[5]، تولى كذلك إشراف الإدارة المالية بالقاهرة، كما كان الناصر بن قالوون يستشيره في بعض أمور الدولة.

---

[1] ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج2، ص 118.

[2] نفسه، ج4، ص379.

[3] أبو ضيف، المرجع السابق، ص14.

[4] هو السلطان الملك الناصر أبو الفتوح ناصر الدين محمد ابن السلطان الملك المنصور سيف الدين قالوون الصالحي سلطان الديار المصرية، ولد بالقاهرة سنة 684هـ/1285م بقلعة الجبل تولى الحكم سنة 693هـ/1293م، انظر: ابن الثغري بردي، المصدر السابق، ج8، ص41.

[5] أبو ضيف، المرجع السابق، ص15.

كما باشر العمل في نظم الجيش بطرابلس[1]، الدقحلية والمرتحية[2]، وبعدها امتنع عن مباشرة الوظائف السلطانية وتفرغ للعلم، حيث نشط في الكتابة والنسخ نشاطا كبيرا، فأخذ منه على كل وقته، وانشغل في التأليف والأدب، حتى سمي بالشيخ الفاضل الأديب شهاب الدين[3]، وتعمق في العلوم الشرعية خاصة علم الحديث، حيث يذكر الصفدي:" كتب البخاري ثماني مرات، وكان يكتب النسخة ويقابلها، وينقل الطباق عليها، ويجلدها، ويبيعها بسبعمائة درهم، وباع تاريخيه مرة للقاضي جمال، فكافأه بألفي درهم، ومما عرف عنه، أنه كان يكتب في النهار ثلاثة كراريس[4].

ومارس أيضا مهنة المراجعة والمطالعة التي كانت معروفة في ذلك العصر، ليقتات منها قائلا في كتابه "نهاية الأرب في فنون الأدب": "امتطيت جواد، وركبت في ميدان المراجعة، حيث ذُلّلَ لي مركبها، وصفا لي مشربها، آثرت أن أجرد منها كتابا أستأنس به وأرجع إليه"[5].

ج-عصره السياسي والعلمي:

1-عصره السياسي:

---

[1]الأدفوي، المصدر السابق، ص97.

[2]صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي، أعيان العصر وأعوان النصر، تح: علي أبو زيد وآخرون، دار الفكر، دمشق سوريا، 1967م، ص281.

[3]أمينة محمد جمال الدين، النويري وكتابه نهاية الأرب في فنون الأدب مصادره الأدبية وآرائه النقدية، دار ثابت للنشر والتوزيع، القاهرة، 1984م، ص73.

[4]الصفدي، المصدر السابق، ص281.

[5]شهاب الدين النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 2004م، ج1، ص05.

نشأ النويري في فترة كثر فيها الاستبداد من قبل أمراء مصر، لما كانت تحت حكم الدولة العباسية، التي قضى عليها التتار(المغول) سنة 656هـ/1258م، وانهيار الحكم الإسلامي بها[1]. حيث كثُرت ثورات العُربان في مصر، فقطعوا طرق التجارة، وفرضوا الإتاوات على التجار، وامتنعوا عن دفع الخراج، إلى أن تمت السيطرة على الوضع، بالقضاء على هذه الثورات من قبل السلطة المملوكية، التي عاصرها النويري، والتي دامت مابين (648-784هـ/1250-1382م)[2].

وقعت بين المماليك والمغول في السنوات الأخيرة سنة 700-702هـ/1300-1302م أحداثا ووقائع، كان النويري طرفا في بعضها، خاصة في عهد السلطان الناصر محمد بن قالوون، "مرج الصفر التي اشترك فيها مصنفنا شهاب الدين النويري[3].

عاش شهاب الدين حياته في عهد سلاطين المماليك البحرية، نذكرهم مع بداية كل حاكم[4]:

1-المنصور سيف الدين قالوون 678هـ/1279م.

2-أشرف صلاح الدين 690هـ/ 1290م.

3-الناصر محمد بن قالوون693هـ/1294م.

4-العادل زين الدين كيتغ 694هـ/1296م.

---

[1]عبد الحليم الندوي، المرجع السابق، ص53.

[2]عامر حمد الجدعان الديلمي، **حياة شهاب الدين النويري ومنهجه في كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب**، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، ع73، جامعة الأنبار، 2020م، ص632.

[3]أمينة محمد جمال الدين، المرجع السابق، ص31.

[4]نفسه، ص32، 37، 40، 44، 46،49.

5-الناصر محمد بن قالوون 698هـ/1308م.

6-المظفر ركن الدين بيرسا لجاشكنير 708هـ/1309م.

7-الناصر محمد بن قالون 709هـ/1340م.

2-عصره العلمي:

عاش النويري في وقت شهدت فيه البلاد المصرية تفوقا علميا وأدبيا كبيرا، ميزه التنوع الناتج عن ازدهار الحياة الفكرية، التي تجلت في ذلك الحين، مما جعلها قبلة العلم والأدب[1]

كما انتشرت المدارس في سائر حواضرها، وكان طلاب العلم يؤمون إليها بالمجان دون أي إهمال، كذلك وجود المكتبات الضخمة الملحقة بالمدارس، مثل مكتبة القاضي الفاضل بالمدرسة الفاضلية.

كذلك ظهور البيئات العلمية مثل مدينة قوص التي نشأ بها مُصنفُنا شهاب الدين النويري، وخطى فيها أولى خطواته التعليمية[2]. وتوافد العلماء والأدباء من مختلف الأمصار وأحدثوا حركة علمية كبيرة بها، أثرت في العلماء المصريين تأثيرا كبيرا، فدعتهم إلى التفكير في إنقاذ الثقافة الإسلامية التي غلب عليها تأثير فترة الانحطاط، فرأى علماء ذلك العصر أن خير وسيلة لصيانة هذه الثقافة والحفاظ عليها، هو جمع المواد التي تتألف منها هذه المعلومات، في مصنفات ضخمة، على شكل موسوعات، وهذا ما قام به شهاب الدين النويري[3].

---

[1] أمينة محمد جمال الدين، المرجع السابق، ص36.

[2] عبد الحليم الندوي، المرجع السابق، ص44.

[3] نفسه، ص61.

وهكذا كانت الحياة الفكرية التي عاشها النويري، حياة زاهية، تتسم بالشمول والتنوع، مما أثرت على نفسيته، في تأليفه لموسوعته الموسومةبـ: "نهاية الأرب في فنون الأدب".

2- ترجمة المُصَنف (الكتاب):

أ- الدراسة الظاهرية:

-المؤلف: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري المتوفي سنة 733هـ/1333م.

-عنوان الكتاب: نهاية الأرب في فنون الأدب.

-عدد الأجزاء: 33 جزءا، أعتمدت على الطبعة الأولى.

-المحققون:

1-مفيد قمحة، الأجزاء 1، 2، 13، 14.

2-حسن نور الدين، الجزء الثالث.

3-يحي الشامي، الأجزاء 4، 5، 11.

4-علي بوملحم، الأجزاء8، 7، 6.

5-محمد رضا مروة، الجزء التاسع.

6-يوسف طويل، الجزئين، 10،15.

7-علي محمد هاشم، الجزئين، 16، 17.

8-عبد المجيد الترحيني، الأجزاء، 18، 19، 21، 22، 23، 24، 25.

9-عماد حمزة، الجزء عشرين.

10-مجيد مصطفى فواز وحكمت كشلي فواز، الأجزاء 26، 27، 28، 29، 30، 31.

11-إبراهيم شمس الدين، الجزئين، 32، 33.

-دار النشر: دار الكتب العلمية.

-مكان النشر: بيروت، لبنان.

- سنة النشر: 2004م.

- الحجم: موسوعة.

-وصف الواجهة الأمامية: لون الواجهة احمر قاتم يحتوي علي زخرفة خارجية، العنوان مكتوب في الأعلى بلون الذهبي،اسم المؤلف في الوسط،دار النشر في اللأسفل،ذو تجليد جيد،وهذا ماإزداد في رونق الكتاب (انظر الملحق رقم واحد).

ب-الدراسة الباطنية: يعتبر كتاب شهاب الدين النويري المعنون بـ:"نهاية الأرب في فنون الأدب"، من أهم الموسوعات التي أُلِفت في عصره أي القرن 8هـ/14م، نظرا لما يحتويه من معلومات قيمة عن ذلك العصر، والعصور التي سبقتها في مختلف العلوم والفنون وحتى الأدب، ولذلك عرج في هذه الموسوعة عن أسباب تأليفه لها، إذ يقول:" وبعد: فمن أولى ما تدبجت به الطاروس والدفاتر، ونُطِقت به الأقلام عن أفواه المحابر ...فمن الأدب الذي ما حلَّ الكاتب بواديه، ألاّ وعُمرت بواديه، ...، فامتطيت جواد المطالعة، وركبت في ميدان المُراجعة"[1].

قسم النويري مُصنفه إلى خمسة فنون، وكل فن إلى خمسة أقسام، حسب الترتيب الآتي:

الفن الأول في السماء والآثار العلوية، والأرض والمعالي السفلية، ويشمل على خمسة أقسام:

-القسم الأول: في السماء وما فيها.

-القسم الثاني: في الآثار العلوية.

-القسم الثالث: في الليالي، والأيام والشهور والأعوام والفصول والمواسم والأعياد.

[1] النويري، المصدر السابق، ج1، ص05.

-القسم الرابع: في الأرض والجبال والبحار والجزائر والأنهار والعيون.

-القسم الخامس: في طبائع البلاد، وأخلاق سكانها وخصائصها، والمباني القديمة، والمعاقل، والقصور، والمنازل.

الفن الثاني: الإنسان وما يتعلق به ويشمل الأقسام التالية:

-القسم الأول: في اشتقاقه وتسميته وتنقلاته، وطبائعه، ووصف أعضائه، وتشبيهها، والنسيب، والمحبة، والعشق، والهوى، والأنساب.

-القسم الثاني: في الأمثال المشهورة عن النبي صلى الله عليه وسلم، وعن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم، والمشهور من أمثال العرب، وأخبار الكهنة، والزجر، والفأل والطير، والفراسة، والذكاء، والكنايات، والأحاجي والألغاز.

-القسم الثالث: في المدح والمجون والفكاهات والملح والخضر، والمعاصرة والفحصان ووصف آلات الطرب.

-القسم الخامس: في الملك، وما يشترط فيه، وما يحتاج إليه، وما يجب الرعية عليه وما يتصل به بذكر الوزراء، وقادة الجيوش، وأوصاد السلاح وولاة المناصب الدينية، والكتاب، والبلغاء.

الفن الثالث في الحيوان الصامت، ويشتمل على خمسة أقسام:

-القسم الأول: في السباع وما يتصل بها من جنسها.

-القسم الثاني: في الوحوش والضباع.

-القسم الثالث: في الفيل، وفي البغال، والحمير، والإبل، والبقر، والغنم.

-القسم الرابع: في ذوات السموم القواتل، وسمه ليس بقاتل بفعله، من ذوات السموم.

-القسم الخامس: في الطير، وفي السمك.

الفن الرابع في النبات ويشتمل على خمسة أقسام

-القسم الأول: في أصل النبات.

-القسم الثاني: في الأقوات والخضروات والبقولات.

-القسم الثالث: في الفواكه المشمومة.

-القسم الرابع: في الرياض والأزهار.

-القسم الخامس: في أصناف الطيب والبخورات والعوالي والنحود والمستقطرات والأدهان.

الفن الخامس في التاريخ ويشتمل على خمسة أقسام ويعتبر موضوع دراستي.

-القسم الأول: في مبدأ خلق آدم عليه السلام وحواء، وأخبارها، ومن كان بعد آدم إلى نهاية خبر أصحاب الرس.

-القسم الثاني: في قصة إبراهيم الخليل عليه السلام، وخبره مع النمرود، وقصة لوط، وخبر إسحاق، ويعقوب، وقصة يوسف، وأيوب وذي الكفل، وشعيب عليهم السلام.

-القسم الثالث: ويشمل على قصة موسى بن عمران عليه السلام وخبره مع فرعون، وخبر يوشع، ومن بعده إلياس واليسع وميل، وأشمويل وطالوت وجالوت، وداوود وسليمان، وقصة يونس بن متى، وزكرياء، ويحي، وعمران، ومريم عليهم السلام.

-القسم الرابع: في أخبار ملوك الأصقاع، وملوك الأمم والطوائف، وخبر سيل العرم، ووقائع العرب في الجاهلية.

-القسم الخامس: في أخبار الملة الإسلامية، وذكر شيء من سيرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وأخبار الخلفاء من بعده رضي الله عنهم، وأخبار الدولة الأموية والعباسية والعلوية، ودول ملوك الإسلام وأخبارهم، وما فتح الله سبحانه وتعالى عليهم[1].

[1]النويري، المصدر السابق،ج1 ، ص15.

قام شهاب الدين النويري بتلخيص كتب عدة، واختصر الأخرى في كتابه، نذكر منها:

-سيرة ابن هشام في جزئين 16، 18، في مواضيع متفرقة.

-كتاب الأحكام السلطانية والولايات الدينية للماوردي، وذكر شيئا من كتاب إحياء علوم الدين.

-معادن الجوهر للمسعودي، ومعجم البلدان لياقوت الحموي، وقد ذكره في مواضيع متفرقة.

-كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، وذكره في جزئين الرابع والخامس، في مواضيع مختلفة[1].

أما المصادر التي اعتمد عليها النويري في نقل مادته التاريخية، فتمثلت في:

1-راويته عن ابن حزم، صاحب نقط العروس في تواريخ الخلفاء.

2-روايته عن الرقيق القيرواني.

3-روايته عن ابن شداد عبد العزيز الصنهاجي: في تاريخ المغرب والأندلس.

-تقييم الجزء الرابع والعشرين من مصنفه، نهاية الأرب في فنون الأدب، الذي هو محلّ دراستي في هذه المذكرة:

بدأ النويري كتابه بالبسملة، وعنون الباب السادس من القسم الخامس: "في أخبار إفريقية وبلاد المغرب ومن تولاها من العمال ومن استقل منهم بالملك"، وسُميت أيامهم بالدولة الفلانية.

تطرق بعد هذا إلى عملية فتح بلاد المغرب، التي كانت في عهد خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه، مرورا بفترة حكم الولاة الأمويين، ثم العباسيين، وتحدث عن المغرب

[1] الندوي، المرجع السابق، ص181.

وأخبار الدول التي قامت به، مثل: الأغالبة والزيريين، ثم جاء بعدها المرابطون والموحدون، كم عرج في هذا الجزء على ثورات الطالبيين، على عهد الدولتين الأموية والعباسية بالمشرق[1].

إن هذا الجزء من الموسوعة، يحتوي على أحداث متسلسلة، غطت مختلف الحقب الزمنية المتعاقبة على بلاد المغرب، وهذا ما تفتقده بعض المصادر الأخرى.

إن الباحث أو القارئ لهذا الجزء، يسهل عليه فهم الأحداث دون اللجوء إلى المراجع وهذا لبساطة الأسلوب والمصطلحات التي استخدمها، ووضوح الأفكار التي طرحها، إذ يقوم النويري في هذا الجزء، بسرد الأحداث كما سمعها، أو رويت له، دون اللجوء إلى مصادر أخرى، ومقارنتها مع بعضها البعض.

إعتمد النويري على مصادر متنوعة، ومعاصرة لكل دولة قامت في بلاد المغرب، مثلا: لجأ إلى الواقدي عندما تحدث عن مأساة آل موسى بن نصير: " قال لما بلغ عبد العزيز بن موسى ما نزل بأبيه وأخيه وأهل بيته، خلع الطاعة"[2].

وعندما حديثه عن نسب أبي الفتوح، إعتمد على كتاب عز الدين أبو محمد عبد العزيز إبن شداد بن المعز بن باديس، الموسوم بـ: "الجمع والبيان في أخبار المغرب والقيروان"[3]، إلاّ أن النويري بالغ في سرد بعض الأحداث في قوله أن زيري بن مناد رُزق من الأولاد بما يزيد

[1] النويري، المصدر السابق، ج24، ص213.

[2] نفسه، ص29.

[3] نفسه، ص86.

عن المائة، كلهم فرسان كان يكتفي بهم في بعض حروبه، وهنا أشير أن زيري بن مناد لا يمكنه أن يصطحب معه كل أولاده، ويترك قصره دون حراسة.

كذلك كان يقوم بالاعتذار عند قلة المعلومات حول أحداث معينة، ويتجنب الحشو والتكرار، وكان ينبه قارئه في كل مرة يتكرر فيها ذكر الموضوع، فشير بعبارة:(قد سبق التطرق إليه).

ج-أهمية المصنف:

-ينطوي كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب، على أهمية كبيرة في مجال الدراسات التاريخية، وازدادت قيمة الكتاب، عندما زودنا بأخبار نادرة لا تتوفر في غيره من المصادر، ولا يقتصر هذا الكتاب على نقل الأحداث التاريخية فحسب، بل يمتد إلى الشعر أيضا، حيث كان يصف الأحداث التاريخية في أشعار مختلفة، لهذا يحتلّ مصنفه محلّ الدراسة، مكانة بارزة في المكتبة الإسلامية، مما جعله يحظى باهتمام واسع من قبل المؤلفين والباحثين.

- يعدُّ أحد أهم الكتب الجامعة لفترات زمنية مختلفة.

2-التعريف بالدولتين الزيرية والحمادية:

أ-الدولة الزيرية: حسب ابن خلدون فإن الزيرين ينتسبون إلى قبيلة صنهاجة البربرية والتي ذكرها في كتابه بقوله:" أن صنهاجة هم أوفر قبائل البربر، ولا يكاد أي مكان في بلاد المغرب يخلوا منهم، حتى اعتقد الكثير من الناس أنه ينتمي إلى هذه القبيلة"[1]. وكان أول منهم من دخل بلاد المغرب هو المثنى ابن ميسور، بناء على النصائح التي كان يسمعها من

[1] عبد الرحمان ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الفكر، بيروت، ج6، ط2000م، ص201.

العرّافين لأن أحفاده سوف تكون لهم سلطة ببلاد المغرب في السنوات القادمة، وهو ما تحقق فعلا بعد ولادة زيري بن مناد، الذي كان يحمل مواصفات السلطان، وعندما بلغ أشده قام بغارات على قبائل زناتة[1].

إجتمعت زناتة وبعض بطون صنهاجة الذين خلفوا زيري بن مناد، وأقاموا عليه حربا ولكن سبقهم إلى ذلك، وضرب زناتة في عقر دارها، وهكذا ذاع صيته، وعظم شأنه في كل أقطار بلاد المغرب[2]، واجتمع حوله أناس راغبين في المشاركة معه في حروبه التي يخوضها ضد مخالفيه[3] وقام بتأسيس مدينة أشير سنة 324هـ/935م، بإعانة من الإمام الفاطمي القائم بأمر الله، ثم قام بمشاركة الفاطميين في قمع ثورة أبي يزيد بن كيداد، بعدما طلب القائم بأمر الله المساعدة منه[4]، لأن خطره كان يزداد شيئا فشيئا، وكادت بلاد المغرب تضيع من أيدي الفاطميين، دون أن ننس مشاركته في الاستيلاء على مدينة فاس، وغزو المغرب الأقصى تحت قيادة جوهر الكاتب[5] .

وبعد كل هذه الانتصارات، عظم أمر زيري بن مناد في بلاد المغرب، ولكن سرعان ما قُتل غدرا على زيري بن عطية المغراوي الزناتي.

---

[1] الهادي روجي إدريس، الدولة الصنهاجية تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن العاشر إلى القرن الثاني عشر ميلادي، ، تر: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992م، ج1، ص ص35-39.

[2] النويري، المصدر السابق، ج24، ص88.

[3] نفسه.

[4] رشيد بورييبة، الدولة الحمادية، تاريخها وحضارتها، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977م، ص09.

[5] نفسه، ص10.

بعد وفاته زيري خلفه ابنه بلكين، الذي كان مستقرا بمدينة أشير، فحارب زناتة، وسيطر على المغرب الأوسط، وقبل مغادرة الفاطميين إلى مصر قام المعز الفاطمي بتولية بلكين بن زيري بن مناد خليفة على إفريقية والمغرب، أوصاه بثلاثة أمور:"ألا يرفع السيف على البربر ولا يرفع الجباية عن أهل البادية، ولا يولّي أحدا من أهل بيته، وعهد إليه أن يفتح أمره بغزو المغرب[1]، فتولى أمر إفريقية والمغرب سنة (361هـ/972م)، ومن أهم أحداث عصره، وفاة الإمام الفاطمي المعز لدين الله، وقتله لزيادة الله ابن القديم، وغزوه للمغرب الأقصى، ثم خلفه ابنه المنصور ما بين(373-386هـ/984-996م)، ثم من بعده باديس (389-406هـ/996-1016م)، فكان هذا العصر، من أزهى عصور الدولة الزيرية، ومن مميزاته عقد باديس لعمه حماد بولاية أشير، فقمع ثورات أعمام بني باديس، ومحاربة زيري بن عطية ثم بلغ الازدهار ذروته في عهد المعز بن باديس سنة(407-422هـ/1016-1051م)، أهم مميزات هذا العصر إخضاع حماد بن بلكين، بعد تمرده على الدولة الزيرية، وإعلان القطعية المذهبية والسياسية مع الفاطميين، وما ترتب عنه من النزوح الهلالي صوب المغربين الأدنى ثم الأوسط[2]، ثم جاء عصر الضعف في عهد تميم بن المعزّ (453-501هـ/1061-1108م)، ثم بدأت مرحلة الانهيار في عهد يحيى بن تميم (501-509هـ/1108-1116م) ويليه علي بن يحيى (509-515هـ/1116-1121م) ثم الحسن بن علي (515-543هـ/1116-1148م)، فكان آخر ملوك بني زيري، وأهم ما ميز هذا العصر الغزو

[1]تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الخلفاء، مطابع الأهرام التجارية، قليوب، د.ت، ج1، ص 101.

[2]رشيد بورييبة، المرجع السابق، ص17.

النورماني لمدينة المهدية سنة(517هـ/1123م)، وظهور مؤسس الحركة الموحدية المهدي بن تومرت في إفريقية، عند عودته من المشرق[1].

مارس الزيريون النشاط الزراعي، فكانت منتجاتهم تتمثل في القمح والشعير والزيتون[2] .

ب- الدولة الحمادية: بعدما أسس حماد بن بلكين العاصمة الحمادية المسماة " قلعة بني حماد" سنة(398هـ/1007م)، حيث نقل إليها سكان المسيلة وحمزة، واهتم ببنائها ووقوفها على تطورها ومحاربة قبيلة زناتة المتمردة، أصبحت ملجأ للباحثين ومأمن لهم خاصة اليهود والنصارى فاكتظت بالسكان، كما قام بتشجيع العلماء المهتمين بالعلوم والفنون وبنى المباني والقصور والمساجد، وشجع أصحاب الصنائع المختلفة، وهنا أحس باديس بخطورة عمه حماد، مما أدى إلى أمره بتسليم بعض المدن لهاشم بن جعفر بن حمدون، فرفض حماد ذلك فكان أول خلاف بينه وبين ابن أخيه باديس، وكانت أول حرب بينهما، والتي انتهت بهزيمة باديس، وقيام الدولة الحمادية سنة (405هـ/1014م)[3].

حكم هذه الدولة تسعة أمراء، واختلف حكمهم بين القوة والضعف، فكان كل واحد منهم يعمل على إبراز شخصيته، وكانت البداية مع حماد بن بلكين الذي حكم من (405-419هـ/1014-1028، ثم تولى بعده ابنه القائد من (419-446هـ/1028-1054م)، ثم من بعده محسن بن القائد سنة (446-447هـ/1054-1055م)، وبعده بلكين بن محمد (454-474هـ/1055-1062م)، فالناصر بن علناس(454-481هـ/1062-1088م)،

---

[1] الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ج1، ص358.

[2] نفسه، ص240.

[3] الهادي روجي إدريس، نفسه، ص144.

فالمنصور بن الناصر(481-498هـ/1088-1104م)، فباديس بن المنصور(498-498هـ/1104-1105م)، فالعزيز بن المنصور(498-515هـ/1105-1121م)، ثم يليه يحي بن العزيز (515-547هـ/1121-1215م)، وفي هذه الفترة دخلت الدولة الحمادية في عملية الانهيار والسقوط على يد الموحدين[1].

أما في الجانب الثقافي، فانتشرت اللغة العربية، مع انتشار المذهب المالكي، حدث تنوع في العلوم والآداب، من خلال المهاجرين الأندلسيين والأفارقة(نسبة لإفريقيا) الذين كان لهم إقبال كبير نحو حواضر وعواصم دولة بني حماد[2].

[1]عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص205.

[2]نفسه، ص247.

المبحث الثاني: العلاقة السياسية والعسكرية للدولة الحمادية و الزيرية

1- العلاقة السياسية بين الدولتين الزيرية والحمادية

أ- إنقسام الدولة الصنهاجية و ظهور الدولة الحمادية

ب- التدخل الزيري في شؤون الدولة الحمادية

ج- التدخل الحمادي في شؤون الدولة الزيرية

2- العلاقة العسكرية بين الدولتين الزيرية والحمادية

أ- معركة شنقبارية

ب- معركة الشلف

ج- معركة سبيبة

1-العلاقة السياسية بين الدولتين الزيرية والحمادية:

قبل مغادرة المعز لدين الله(وهو رابع خليفة لدولة الفاطمية ببلاد المغرب وفي عهده حدث ثورة أبي الحمار الذي كاد أن يهزم الفاطميين ويقوم بإستلاء على أرض المغرب) وقبل توجهه إلى مصر أرسل بكتاب إلى يوسف بن بلكين الصنهاجي يستدعيه فيه إلى القيروان لكي يطلب منه أن يكون مسالما في تعامله مع الرعية خاصة قبيلة زناتة وأوكله في تدبير شؤون افريقية والمغرب بداية لم يقبل بذلك، لكن ألح عليه المعز لدين الله فقيل يوسف بن بلكين وكان تسليم الحكم رسميا سنة **(361هـ- 972م)**، وسماه الخليفة يوسف بدلا من بلكين، وكناه أبو الفتوح ولقبه بسيف الدولة وأوصاه بثلاثة أمور حسب ما جاء في النويري: "يا يوسف إن نسيت مما أوصيك به فلا تنسى ثلاثة أشياء لا ترفع الجباية عن أهل البلاد، ولا ترفع السيف عن أهل البربر، ولا قول أحدا من إخوتك فإنهم يرون أنهم أحق بهذا الأمر بك، واستوفى بأبي مضر خبرا".[1]

362هـ .973م) دخل المنصورية وولى على مدينة باغاية عاملا عليها، وفي سنة(**309 هـ . 921م)**رحل أبي الفتوح إلى فاس سيجلماسة وأرض الهبط فأصبح كله تحت حكمه وطرد عمال بن أمية.[2]

وكانت وفاته سنة **(373 هـ . 983م)**وجاء بعده ابنه أبي المنصور ابن يوسف بلكين بن زيري.[3]

---

[1] النويري، المصدر السابق، ج24،ص93.

[2] نفسه، ص96.

[3] نفسه، ص96.

فولى الإمارة بالاجماع في سنة **(374هـ .984م)** قبل أن يأتيه التعيين بصفة رسمية من القاهرة وفي نفس السنة ولد ابنه باديس، تولى أبي الفتح (المنصور)الأعمال ببلاد المغرب واستخلف في حياته على الأعمال بالقيروان والمهدية ثم عاد إلى أشير وتوفي سنة **386هـ.995م)** وخلفه أبي مناد باديس بن أبي الفتح، وعقد ولاية أشير لعمه حماد بن يوسف بن زيري واتسعت أعمال هذا الأخير بعدما قام بمحاربة زيري بن عطية الذي كان واليا على مدينة فاس وكان الانتصار لصالح زيري بن عطية ،بعد انهزام حماد توجه الي قمع ثورة اعمام أبي باديس ولكن هذه المرة انتصر فيها مما عظم شانه ثم إستدعي باديس حماد وامره بمحاربة المعز بن زيري بن عطية وكان ذلك سنة (395هـ .1004م) وانتصر مرة اخري فولي واليا علي الغرب الاوسط ،في سنة(398هـ .1007 م) إذن باديس لحماد بتأسيس القلعة التي سميت قلعة حماد وقلعة أبي طويل ونقل إليها حماد سكان المسيلة وحمزة وقام ببناءها وتمصيرها ،فاستقر حماد بها وكان من حين إلي أخر يزور مدينة أشير[2] دون أن ننسي أنه قام بالقضاء علي قبيلة زناتة[3].

وعندما علم باديس بمكانة عمه حماد التي وصل إليها أرسل برسالة يطلب فيها أن يتنازل عن بعض ولاية المناطق وهي، قسنطينة، والقصر الافريقي وتيجست فرفض حماد ذلك ومنها بدا الخلاف وتفرع الدولة الصنهاجية.[4]

ا-انقسام الدولة الصنهاجية وظهور الدولة الحمادية:

[1] ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، تحقيق، بشار عواد معروف، محمد بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2013 م، ج 1، ص286.

[2] رشيد بوريبة ،المرجع السابق،ص21

[3] النويري، المصدر السابق،ج24 ص106.

[4] نفسه، ص107.

يرجع في قيام الدولة الحمادية إلى مؤسسها حماد بن بلكين الذي ضاع صيته في أرجاء بلاد المغرب ،

بعد الخلاف الذي كان بين حماد باديس أدرك هذا الاخير أن حماد يسعى للاستقلال ،وبناء كيان خاص به فأرسل إليه كتاب[1] يطلب أن يتنازل عن بعض المدن لابنه المنصور فرفض حماد ذلك بعد أن تآمر مع أخيه ابراهيم ،وأعلنوا على خلع الطاعة واظهرا العصيان لباديس، عندئذ عزم باديس على محاربة عمه وخرج شخصيا لقتاله، فانتصر عليه وحاصره في القلعة[2] بينما كان حماد محاصرا، توفي باديس وخلفه ابنه المعز وكانت ولايته بالمهدية سنة (**406هـ .1016م**) وسار لقتال حماد سنة(**408هـ .1018م**) وأخرجه من باغاية[3] بعدها فر إلى قلعته.[4] ولجأ إلى صلح المعز بن باديس.

إبتداء من سنة (**408هـ .1018م**) إنقسمت صنهاجة إلى دولتين الدولة الزيرية التي حكمت المغرب الأدنى والدولة الحمادية التي تولت الحكم في المغرب الأوسط، إذا أن المناطق التي كان يحكمها بنو زيري عند رحيل معز لدين الله الفاطمي إلى مصر كانت تعد مهمة ثقيلة لأنها تضم المغربين الأدنى والأوسط، وفي عهد المنصور تعهد لأخيه حماد بولاية المغرب الأوسط ولكن حماد طمع في هذه الولاية لنفسه فلما حاول باديس استرجاعها إعترضه حماد وخرج عن طاعته وطاعة الحماديين[5]

---

[1] الكامل في التاريخ، المصدر السابق، ص87،

[2] ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ص291،

[3] مدينة قديمة بجبل الاوراس،بها قبائل من الجند وحولها قبائل من البربر انضر عبد القادر بوعقادة الحركة الفقهية في المغرب الاوسط بين لقرنين 7و9ه اطروحة الدكتورا جامعة الجزائر 2014،2015، ص 208

[4] النويري، المصدر السابق، ص110.

[5] بن سادات نصر الدين، المغربان الأدنى و الأوسط تحت الحكم الزيري، جامعة وهران، ، د ت

ب-التدخل الزيري في شؤون الدولة الحمادية

كان تدخل الدولة الزيرية في شؤون المغرب عندما أراد حماد الإعلان عن إستقلال دولته.

ويتعلق الأمر الأول عندما قام أبي يكني بن محسن بن القائد بن حماد ضد الأمير المنصور سنة **(484هـ .1094م)** بإرسال أخوه مع بغلان طالبا من تميم بن المعز أن يعينه مقابل ولاية بونة واستجابة الأمير الزيري لعرض أبي يكنى وبعث ابنه أبا الفتوح إلى مدينة بونة وهذا ما جعل المنصور يقوم بتجهيز جيش وتسييره إلى هذه المدينة ودخلها بعد أن حاصرها سبع شهور واعتقل أبو الفتوح وإرساله إلى القلعة.[1]

وبعدها واصل الجيش الحمادي زحفه نحو قسنطينة، وعندما علم أبي يكني بذلك حاول الفرار إلى جبال الأوراس ولكن تم القبض عليه وقتله وبالتالي فشلت محاولة تدخل الزيريين في شؤون بني حماد، أما الحادث الثاني كان باستيلاء الاسطول الزيري على مركب الأمير الحمادي يحي بن عزيز الذي كان في طريقه إلى بجاية وكان محملا بالبضائع والهدايا من الخليفة الفاطمي إلى الأمير الحمادي **(536هـ .1141م)**.[2]

ج-التدخل الحمادي في شؤون الدولة الزيرية

بعد أن استقل حماد عن الدولة الفاطمية قام بتحريض أهل تونس المقيمين بها على قمع اتباع المذهب الاسماعيلي واستجابة أهل المدينة فنشب صراع بين السنة والشيعة وقتل عدد كبير من الشيعة وذلك في سنة **(406 هـ/ 1015م)**.[3]

---

[1] ين سادات نصر الدين، المرجع السابق، ص45.

[2] نفسه، ص45.

[3] عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص23.

بعدها تطلع بنو حماد على حكم مدينة تونس عندما تقلص نفوذ الدولة الزيرية في افريقية نتيجة الزحف العربي وخروج عدة مدن عن طاعتهم، وتراجع نفوذ المعز ين باديس عن مدينة تونس، وجاء أحد شيوخها إلى الناصر بن علناس الأمير الحمادي سنة **(450هـ 1058م)** طالبا منه أن يختار واليا على مدينتهم فرفض الناصر ذلك وتفطن في عدم التدخل في شؤونهم حيث اقترح الامير الحمادى على الناصر بتعيين عبد الحق بن عبد العزيز لكي يكون عاملا له على مدينة تونس.[1]

لم يتوجه بني زيري نحو مدينة تونس إلا بعد معركة سبيبة[2] وذلك عندما انشغل الحماديون بمعالجة آثار هزيمتهم ليقوم تميم ابن المعز سنة (458-460هـ 1065-1067) باخضاع مدينة تونس التى كان يحكمها عبد الحق بن خرسان عميل الامير الحمادي الناصر بن علناس.[3]

وفي سنة (**460هـ-1067م**) إستولى على مدينة الأربس ثم القيروان ثم رجع إلى القلعة لأنها كانت معرضة للهجومات الهلالية.[4]

2- العلاقات العسكرية

أ- معركة شنقبارية[1] 405هـ- 1014م :

[1] بن سادات نصر الدين، المرجع السابق، ص 46.

[2] هي مدينة علي مقربة من القيران، ذات انهار ومياه سائحة ،ولم يكن بافريقية اخصب منها ،ابن عبد ربة الحفيد المصدر السلبق،ص129،161

[3] النويري، المصدر السابق، ص126.

[4] بن سادات نصر الدين، المرجع السابق، ص 48.

لقد ظهر إختلاف بين الأمير باديس صاحب إفريقية وعمه حماد الذي أصبح لديه مكانة مهمة في المغرب الأوسط.

بعد تأسيس حماد لقلعة أبي طويل(قلعة بني حماد) أصبح لديه شأن عظيم خاصة في المغرب الاوسط كثر عليه أعداءه وبدأوا في تحريض باديس عليه، فكتب باديس إلى حماد يطلب منه أن يتنازل على ثلاث أعمال من شرق المغرب الأوسط قسنطينة تيجست والقصر الافريقي لابنه المنصور ابن باديس عزيز الدولة.

وأمر باديس هاشم بن جعفر نائب ابنه المنصور بالذهاب إلى حماد وتسليمه البنود. فارسل هاشم بطلب الي ابراهيم أخو حماد أن يصاحبه إلى أخيه ويسلم رسالة باديس التي كتبها له فتسرع ابراهيم إلى ذلك وقال " لا يجد مولانا عبدا من عبده انهض بخدمته مني".[2]

خرج هاشم وابراهيم يوم **18** شوال **405هـ/ 11** أفريل **1015م**[3] وفي الطريق أخبر ابراهيم أنه نسي شيئا يخصه في مدينة باجه وتركه بعد أن وعده بلحاقه.

أما ابن الأثير يذكر أن ابراهيم فارق هاشم بن جعفر ووصل إلى أخيه حماد قبله واتفقا على خلع الطاعة وأظهرا العصيان على باديس ابن أخيه المنصور.[4]

وهكذا نشبت أولي الحروب بين أبناء العمومة حيث نزل باديس رقادة[5] ثم رحل بعد عيد الأضحى وطلب من هاشم أن يصعد الى قلعة شنقبارية فيتحصن بها، فحاصره حماد

---

[1] و يقال هي مدينة كبيرة فيها آثار عظيمة و هي على طرف جبل الأوراس من أعظم مدن إفريقية، للمزيد أكثر أنظر ابن عبد ربة الحفيد ص 164

[2] ابن الاثير، المصدر السابق، ص86- 87.

[3] رشيد بورييبة، المرجع السابق، ص22.

4 ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ص 285.

[5] هي مدينة كبيرة تبعد عن القيروان4 أميال و هي أكبر بلاد افريقية بها بساتين كثيرة و بقال الذي بناها إبراهيم بن أحمد بن محمد الأغلب سنة 261 – 289 هـ / 874-902 م، ياقوت الحموي، الجزء الثالث، ص 55.

وإبراهيم هناك، وحدث قتال شديد بينهم فكانت الهزيمة لهاشم وفر إلى باجة[1] أما حماد وإبراهيم جمعوا الأموال والخزائن والأثقال التي كانت بحوزة هاشم بن جعفر، ومن هذه المعركة إنطلق الصراع العسكري الزيري الحمادي، وأهم نتائج هذه المعركة:

- خلع حماد للخليفة الفاطمي وخضوعه للعباسيين.

- وصول حماد إلى باجة لتتبع هاشم بن جعفر وعند وصوله أعطى الأمان لأهلها ولكن سرعان ما بدأ يقوم بأفعال شنيعة هو وأخوه إبراهيم وقتلهم للأطفال وإحراقهم للمحاصيل الزراعية و سبي النساء[2].

ب- معركة واد شلف[3] 406هـ- 1015م(انظر الملحق رقم 2)

بعد الانتصار الذي حققه حماد وأخيه إبراهيم في شنقبارية توجب على باديس خوض حرب أخرى من أجل استرجاع مكانته أمام رعيته والمغرب الأوسط تحت طاعته.

فقام بتجهيز جيش سنة **(406هـ- 1015م)** ورحل من تادميت ومر بدكامة حيث خضع له العديد من أحلاف حماد تحت طاعته ووصل إلى المحمدية **(المسيلة)[4]** أقام بها ستة أيام ثم توجه إلى القلعة وقبل مغادرته مدينة المسيلة قام كرامة أخو باديس بهجوم على القلعة وخرب جزء منها.[5]

[1] هي مدينة افريقية كثيرة القمح و الحنطة، أنظر ياقوت الحموي، الجزء الأول، ص 314.

[2] النويري، المصدر السابق، ص 108.

[3] نهر كبير مشهورة عليه مدينة قديمة ازلية تسمي شلف واليها ينسب النهر ،انظر عبد ربة الحفيد،ص171،164

[4] ابن عذاري، المصدر السابق،ص287.

[5] ابن أثير، المصدر السابق، ص87.

وعند وصول باديس إلى القلعة خرج إليه العديد من السكان وطلبوا منه الأمان فأمنهم وعندما علم إبراهيم أخو حماد بذلك قتل نساءهم وذبح الأولاد على صدور أمهاتهم وشق بطونهم.[1]

واصل باديس سيره ونزل بضفتي نهر شلف ودخل في طاعته بنو توجين وحازوا في مدده بسبب الحقد الذي يحملونه إلى حماد.[2]

أما حماد فكان في الضفة الأخرى من الواد يستعد للحرب فكان كل منهما يجهز عساكره للمواجهة.[3]

وفي اليوم الموالي إقتحم باديس الوادي وصار هو وجيشه في الجهة الأخرى أما الجيش الحمادي كان محتميا بجبل بني واصل: هو جبل منيع صعب العبور.

إشتد القتال بينهم وعندما رأى الجيش الحمادي قوة وصلابة الجيش الزيري تفرقوا مما أدى إلى انهزام[4] حماد وهروبه في خمسمائة من فرسانه تاركا وراءه غنائم كثيرة التي إشتغل بها عساكر باديس في الاستحواذ عليها وعدم تتبعهم لأثر حماد مما أدى إلى نجاته.

حيث ذكر إبن عذاري أن الناس قاموا بأخذ الأموال والغنائم ما لا يحصى عددا وكثرة ووجد رقعتان فيها: "إن الذي عند القائد فلان صندوق فيه[5] خمسون ألف دينار وسبعمائة ومن

[1] النويري، المصدر السابق، ص108.

[2] ابن خلدون، المصدر السابق، ص209.

[3] النويري، المصدر السابق، ص108.

[4] نفسه، ص108.

[5] ابن عذاري، المصدر السابق، ص288.

ومن الورق ألف وخمسمائة ألف درهم، ومن الأمتعة خمسون صندوقا غير ما كان في بيت حماد وخزانته".[1]

واصل ابن عذاري في وصف[2] أحداث معركة وادي شلف في قصيدة الرفيق التالية:

لم أنس يوما بشلف راع منظره وقد تضايق فيــه ملتقى الحـــدق

والخيل تعبر بالهامات خائضة من سافح الدم مجرى قانـــئ العــلق

والبيض في ظلمات النقع بارقة مثل النجوم تهاوت في دجى الغســق

وقد يدا معلما باديس مشتهرا كالشمس في الجو لا يخفى عن الحدق[3]

وبعد معركة شلف قصد حماد قلعة مغيلة الواقعة شمال تاهرت سنة (**406هـ/ 1015م)** ثم توجه إلى قلعت[4] .

-الحرب بين كرامة و حماد 407 هـ -1016 م

بعد وفاة باديس تولى أخوه كرامة إمارة الدولة الزيرية باتفاق قادة الجيش عليه و كانت توليته ظاهريا فقط حتى لا يشعر حماد بذلك و ينتهز الفرصة لمحاربتهم، و لكن إنتشر الخبر في أرجاء المسيلة فعند ذلك قام حبيب بن أبي سعيد و باديس بن حمامة و أيوب بن يطوفت بمبايعة كرامة، من جهة أخرى قام العساكر الزيريين بأخذ تابـوت باديـــس مـــن المحمديــة (المسيلة) حتى يستلموه إلى ولده المعز في المهدية[5]

[1] نفسه، ص209.

[2] نفسه، ص209.

[3] ابن عذاري، المصدر السابق، ص209

[4] النويري ،المصدر ،السابق ص109

[5]المصدر السابق ،ص110.

بعدها خرج كرامة إلى أشير ليحشد قبائل صنهاجة و تلكاتة و يعود بهم إلى المسيلة من أجل مواجهة حماد بينما كان يجهز في جيشه تكون من ألف و خمسمائة فارس أما كرامة فكان جيشه يتكون من سبع آلاف مقاتل و إلتقى الطرفان في مدينة أشير[1] و إقتتلوا قتالا شديدا و لكن أصحاب كرامة إنتهزوا الفرصة و رجعوا إلى بيت المال فنهبوه و هربوا، و ولت الهزيمة لكرامة الذي فر إلى أشير و حاصره حماد هناك ثم استدعاه إليه و أعطاه المال و سمح له بالانصراف و كان وصول كرامة إلى إفريقية في 19 محرم 407 هـ 1016 م[2].

بعد معركة شلف تحصن حماد و أخوه في قلعته و أقاموا بها ثلاثة أيام و بعدها علم إبراهيم بأنهم بحاجة إلى مزيد من الطعام و الملح فاقتحم مدينة دكامة و كان حماد يكره أهالي هذه المدينة فقتل حوالي 300 رجل و حمل كل الطعام الذي كان بها و قبل ذلك خرج إليه شخص فقيه يدعى أحمد بن أبي توبة و نصحه بعدم القتل و النهب و خوفه بالله فضرب على عنقه و قتله[3].

من جهة أخرى سار باديس خلفه و قام بمحاصرة القلعة بالرغم من الأعذار التي كان حماد يبعثها إليه لكن باديس لم يقبل هذه الإعتذارات و أصر على محاصرته و قام بتوزيع الأموال على عساكره حتى يتحالفوا معه[4] وسلبت من حماد الغنائم والأموال والأثقال التي كانت لا تعد و لا تحصى بعدما قاموا بحصار القلعة[5].

[1] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ت ح محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، لبنان، ج 8 ، 1987، ص 110.

[2] رشيد بورييبة، المرجع السابق، ص 30.

[3] ابن عذاري، المصدر السابق، ص 290.

[4] ابن الأثير، المصدر السابق، ص88.

[5] عبد الرحمان جيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج 1، د ت،ص 337.

-الحرب بين المعز وحماد 408هـ/ 1017م:

بعد تولية المعز بن باديس توجه حماد في صفر(**408هـ/ 1017م)** إلى المسيلة وفتح أشير وحاصر باغاية وعند وصول هذه اللأخبار الي المعز جهز جيشا و توجه نحوه، فلما علم حماد بقرب وصول المعز رفع عنها الحصار[1]، وعلى ما جاء في ذكر النويري" أن إبراهيم وقف على باب مدينة باغاية وإستدعى أيوب بن يطوفت والي المدينة ليتحدث معه فلبى دعوته وخرج إليه فعاتبه على أفعاله الشنيعة فرد عليه إبراهيم بأنهم إخوة والذي وقع بينهم إنما بقضاء الله وقدره وأنه على طاعة المعز ويريد المصالحة على يده وأن حماد يرسلك سلاما وأن تبعث من تثق به لكي يأخذ العهود التي تريح قلبك".[2]

فبعث أيوب بأخويه حمامه و حبوس وطلب من تورين أن يتبعهما لأنه كان يثق به أكثر من أخويه، وعند وصولهم أنزلهم إبراهيم في فازه السلام وأخبر أخاه حماد بوصولهما فبعث إليهم زكنون ابن أبي حلا فجردهما من ثيابهما وألبسهم ثيابا رثة وقيدهما وأخذهما إلى القلعة، أما نورين أحس عليه حماد فضرب عنقه وقتله.[3]

فلما ورد هذا الخبر إلى المعز جهز جيشا واتجه إلى حماد وهاجمه وكما جاء في قول ابن الأثير، " فاقتتلوا فما كان إلا ساعة حتى إنهزم حماد وأصحابه، ووضع أصحاب المعز فيهم السيف وغنموا العدة و المال الذي كان معهم" ، ولقد أضاف صاحب الكامل، أن المعز أمر جيشه من يأتيه برأس فله أربعة دنانير"[4] وأثناء المعركة أسر إبراهيم وفر أخوه حماد

1 ابن خلدون، المصدر السابق، ص210.
2 النويري، المصدر السابق، ص113.
3 نفسه، ص114.
4 ابن الأثير، المصدر السابق ص89.

وكانت الجروح تتخلل جسمه وتفرق عنه أصحابه.[1] وقام المعز بعقد أعمال المغرب لعمه كرامة.[2]

بعد وصول حماد إلى القلعة وإنهزامه، أرسل رسولا إلى المعز يطلب فيه الاعتذار والعفو فرد عليه المعز إذا أردت أن أثق فيما تقوله وأن لا تغدر بي كما فعلت سابقا يجب وضع شروط وهي أن ترسل إلينا ولدك القائد ومعه الكتاب فاستجاب حماد لشرط المعز وبعث إبنه القائد[3] وأطلق المعز سراح أخوه ابراهيم وبعث معه العهود التي إتفق عليها فقام حماد بشكر المعز على حسن معاملته وكرامته.

ج- معركة سبيبة 457 هـ- 1065م:

قبل التحدث عن هذه المعركة يجب أن أعرج عن العرب الهلالية[4] الذين كان لهم يد في هذه المعركة.

عند ولاية المعز بن باديس الملقب بشرف الدولة كان صغير السن حوالي ثمانية أعوام فتولى تربيته الوزير أبي الحسن بن أبي الرحال الذي كان على المذهب المالكي ويتبع أهل السنة فحاول تحريض المعز على إقامة السنة ومذهب إمام مالك في بلاد المغرب، وعندما علم الشيعة الفاطميون بذلك حاولوا التخلص منه ولكن سبقهم في ذلك ووضع السيف عليهم وحسب ما ذكره ابن عذاري قتل حوالي **ثلاثة** آلاف شيعي.[5]

---

[1] النويري، الصدر السابق، ص114.

[2] ابن الأثير، المصدر السابق، ص89.

[3] النويري، المصدر السابق، ص 117.

[4] قبائل بني هلال و بني سليم الذين جاؤوا إلى بلاد المغرب من مضر، سكن بنو هلال في جبل غزوان عند الطائف كانوا يغيرون على الضواحي و بفسدون السابلة ، (ينظر ابن خلدون العبر، المصدر السابق ج 6 ، ص 18)

[5] ابن عذاري، المصدر السابق، ص298.

وقطع صلته بالدولة الفاطمية التي كان حاكمها المستنصر وأحرق البنود ومحى إسم المستنصر من السكة وكان ذلك سنة (**440هـ- 1048م**).

عندما علم المستنصر بما فعله المعز في المغرب أرسل إليه كتابا يعاتبه فيه حسب ما جاء به النويري حيث قال له " هلا إقتديت من سلف آباءك في طاعة الولاء "، فأجابه المعز " إن آبائي وأجدادي كانوا ملوك المغرب قبل أن تملكه أسلافك، ولهم عليهم من الخدم أعظم من التقديم ولو أخروهم ليتقدموا بأسيفهم".[1]

وعند حلول عيد الأضحى أمر المعز الخطيب بسب أهل الشيعة(الفاطميين) ،فقال لهم " اللهم واللعن و الفسقة الكبار الماردين الفجار أعداء الدين وأنصار الشيطان المخالفين لأمرك والناقضين لعهدك متبعين غير سبيلك المبدلين لكتابك ".[2]

ومن هنا إنقطعت الصلة بين الفاطميين و الزيريين مما أدى إلى دخول العرب الهلالية التي كانت بموافقة المستنصر ووزيره اليازوري الذي(كان من أهل الفلاحة والزراعة في الشام) بأن يبعث بنى هلال إلى بلاد المغرب ليتخلص منهم بعدما كانت مصر مشمئزة من تصرفاتهم وتمرداتهم علي البلاد

وفي سنة **(442هـ .1148م)** تولى أبي الحسن ابن اليازوري وزارة الدولة الفاطمية حيث اقترح على المستنصر بإرسال العرب الهلالية إلى بلاد المغرب حتى يتخلص منهم ويعاقب المعز على فعلته فوافق المعز على ذلك واتصل اليازوري بأمراء العرب وأمرهم بدخول افريقية بعد أن حدثهم عن خيراتها.

[1] النويري، المصدر السابق، ص16.

[2] ابن عذاري، المصدر السابق، ص303.

ودخلت العرب بلاد المغرب سنة **(443هـ .1150م)** وبعث معهم اليازوري رسالة إلى المعز يقول فيها " أما بعد فقد أرسلنا إليكم قوة وأرسلنا عليها رجالا كهولا ليقضي الله أمرا كان مفعولا "[1].

توجه بنو هلال إلى افريقية وكان أول من دخلها هو أمير رباح وموسى بن الصنبري فلما ورد هذا الخبر على المعز إستدعى أميرهم بن رباح وقام بمصاهرته وتفاوض معه في إستدعاء العرب من أجل التمرد على بني عمه الحماديين، فقبل ذلك وإستدعى بني رباح العرب ولكنهم أظهروا الفساد و نادوا بشعار الخليفة المستنصر،[2] وأصبحوا يطلون على عوراته ويدبون إلى أنصاره وحماته حتى فقد المعز السيطرة عليهم.[3]

حيث إستولت زغبة على مدينة طرابلس أما بنوا رباح و بنوا عدي لم يتركوا فيها شيئا على حاله ودبوا في الأرض فسادا عند وصولهم إلى القيروان.[4]

فغضب المعز لِما يفعله العرب من دمار وخسائر فبعث برسالة إلى إبن عمه القائد بن حماد يطلب فيه المساعدة لمواجهة هؤلاء العرب. فكتب الية كتيبة من ألف فارس سرحهم اليه.[5]

فجمع المعز جيشا عظيما وسار إلى قتال بني هلال وكانت أول معركة وقعت بينهم هي معركة حيدران وهو جبل بينه وبين القيروان ثلاثة أيام.

---

[1] النويري، المصدر السابق، ص117.

[2] ابن خلدون، ج6، ص200.

[3] ابن الحسن علي بن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، (ت542)،تح. احسان عباس ،دار الثقافة، بيروت – لبنان ،د ت ،ج4 ص 614

[4] النويري، المصدر السابق، ص118.

[5] ابن خلدون، المصدر السابق، ص20.

حيث بلغ جيش المعز، ثلاثين ألف فارس أما العرب فبلغ جيشها **ثلاثة** آلاف فارس وكانت المواجهة في سنة **(443 هـ- 1051م)**.[1]

انتهت المعركة بانهزام المعز وفراره إلى القيروان وانتهبت العرب كل ما تركه رجال المعز من مال ومتاع وذخيرة.[2]

بعد معركة حيدران قامت العرب الهلالية بدمار وتخريب الأراضي الزيرية مما أدى إلى انتقال الكثير من السكان بأهل العرب إلى بلاد حماد نظرا لحصانتها، دون أن ننسى إستغلال العرب الهلالية للضغائن التي كانت بين أبناء العمومة من أجل مصالحها في تدبير شؤون بلاد المغرب[3]، وتحالفهم مع ملوك الدولتين مما أدى إلى نشوب حرب بين الطرفين جيش الناصر بن علناس ومن معه من العرب من عدي و الأثبج وجيش المعز الذي كان معه رباح و زغبة وسليم.[4]

ويرجع نشوب هذه الحرب حسب قول ابن الأثير " إن تميم بن المعز وصلته أخبار أن الناصر بن علناس يقع في مجلسه و يذمه وأنه عزم على المسير إليه ليحاصره بالمهدية وأنه قد حالف بعض صنهاجة و زناتة و بني هلال ليعينوه على حصار المهدية.[5]

في سنة **(457 هـ 1065م)** جهز تميم بن المعز جيشه وبعث إلى عرب بن رباح يقول لهم أن الناصر يجهز نفس من أجل محاربتكم فقال أمراء العرب نحن نريد أن تعيننا بالعدة وقال لهم العدة و الرفادة علي و اتفقوا على محاربة الناصر.

---

[1] ابن الأثير، المصدر السابق، ص296.

[2] ابن خلدون، المصدر السابق، ص21.

[3] النويري، المصدر السابق، ص122،.

[4] نفسه.

[5] ابن الأثير، المصدر السابق، ص372.

و يرجع كذالك أسباب هذه المعركة إلى خسارة المعز أمام العرب في معركة حيدران وقيام العرب بتخريب البلاد دون أي رحمة أو شفقة فوجب على الناصر وضع حد لتوسع الهلالي وحماية حواضره بعد زعزعة ملك بني عمومته في إفريقية.

بعد إنهزام الزيريين في معركة حيدران وضعف قوتهم توجه تفكير الامير الحمادي إلى محاصرة المهدية التي كانت عاصمتهم والقضاء عليها، لأنها تعتبر آخر مركز قوة لهم.

وقبل بدء الحرب إتبع الهلاليون أسلوب الخديعة حيث أرسلوا إلى بقية العرب التي كانت مع الناصر بعدم مساعدته في خوض هذه الحرب وأنه إذا انتصر سيستولي على البلاد ويستغنى عنكم.[1]

فأجابوا بالموافقة وتحالف الطرفان من عناصر العرب، وإتفقوا على الانهزام في أول مواجهة حسب ما ذكره النويري في قول أحد المشايخ " فإذا التقينا فقاتلونا فإنا ننهزم ويرجع عليكم فإذا ملكنا رقابهم كان لنا من الغنيمة الثلث ولكم الثلثان".

وأرسل المعز هو الآخر إلى العرب التي كانت مع المعز و قبيلة الزناتة وإتفقوا على أن يخالفوا الناصر في الحرب.[2]

وإلتقى الطرفان يوم (**457 هـ . 1065م**)[3] بموضع يسمى سبيبة وهي قرية قريبة من الأربس التي نزلها حشود الناصر، وعندما إلتقى الطرفان حملت بنو رباح على بني هلال، فانهزم بنو هلال حسب ما وقع في الاتفاق وأظهروا الغدر، وإنهزم الناصر بن علناس[4]

[1] ابن الأثير، المصدر السابق، ص373.

[2] النويري، المصدر السابق، ص123،

[3] سعد زغلول، ص454.

[4] النويري، المصدر السابق، ص123.

وحسب ابن خلدون استولوا العرب على خزائنه و قتل أخوه القاسم وكاتبه[1]، أما ابن عذاري "فيقول أنه قتل"[2] خلق كثير من أصحابه وذكر ابن الأثير[3] و النويري[4] أن "عدد القتلى بلغ أربع وعشرين ألفا".

وأما عن الناصر حسب ما ذكره ابن خلدون فإنه لجأ إلى قسنطينة ثم توجه إلى القلعة مع عساكره الذين بلغوا مائتين[5].

ومن نتائج هذه المعركة، التي كانت خطيرة على تميم بن المعز الأمير الزيري حيث بعدما إزدادت قوة الهلالين وكثرت دوابهم وأسلحتهم ،أصيب بالحزن الشديد ولم يقبل الغنائم التي حملها إليه الهلاليون " وقال إني لا أرضى في أخذ سلب ابن عمي".[6]

فبلغ الناصر ما فعله تميم بعدم أخذه للغنائم التي حصل عليها الهلاليون من الحرب[7]، الحرب[7]، فطلب من وزيره أبي بكر بن أبي الفتوح أن يصلح بينهم، فأرسل الوزير رسولا إلى تميم يعتذر منه ويطلب الصلح فقبل تميم وأرسل الي الناصر محمد بن البعبع، فسار محمد مع الرسول الحمادي.[8]

وعند وصوله قال للناصر يا مولاي معي وصية إليك فأحب أن تخلي المجلس فقال الناصر لا أخفي شيئا عن وزيري [9] وأخبره ببناء بجاية ونظرا لما تحتويه من موانئ و

[1] ابن خلدون، المصدر السابق، ص230.
[2] ابن عذاري، المصدر السابق، ص327.
[3] ابن أثير، المصدر السابق، ص373.
[4] النويري، المصدر السابق، ص123.
[5] ابن خلدون، المصدر السابق، ص230.
[6] النويري، المصدر السابق، ص123.
[7] رشيد بورييبة، المرجع السابق، ص65.
[8] رشيد بورييبة، المرجع السابق، ص65.
[9] النويري، المصدر السابق، ص129.

استراتيجية هامة وعرض عليه أن يكون من مساعديه وعندما علم تميم بخيانة رسوله قتله ولم يتم الصلح إلا في سنة (**470هـ- 1077م**) ومنه تأسست مدينة بجاية وانتقل إليها الناصر وشيد بها عاصمته التي سميت باسمه الناصرية. [1]

[1] عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص126.

المبحث الثالث: مظاهر تأثير العلاقات السياسية العسكرية على الدولتين الزيرية الحمادية

1-الصلح و المصاهرة

2-تبادل السفارات

3-بناء مدينة بجابة

4-الأخطار الخارجية وسقوط الدولتين

بالرغم من العلاقات العدائية التي شهدتها الدولتين الحمادية و الزيرية إلا أن هذه التوترات لم تدم طويلا بحيث إستقرت الأوضاع بينهم لفترة وجيزة و ذلك عندما بدأ الضعف يدب داخل الدولتين، و إنتهاكهم في الحروب مما أدى بأمراء الدولتين اللجوء إلى مرحلة الهدنة و الصلح التي تكللت بالمصاهرة من أجل توثيق الروابط و تقويتها كذلك بناء بعض المدن، و لكن لم يكتمل هذا الصلح ونشبت حروب أخرى، و لكن هذه المرة كان العدو خارجي يترصد في عيونه مستغلا إنشغال الدولتين بحل مشاكلهم الداخلية مما أتاح له الفرصة في القضاء على الدولتين.

1- الصلح و المصاهرة :

أ-الصلح بين حماد و المعز :

بعد إنهزام حماد في معركة شلف و تفرق أصحابه عليه و أسر أخيه من قبل المعز لجأ إلى الصلح مع المعز فبعث برسول إلى هذا الاخير يعتذر منه و يطلب العفو فقبل المعز بذلك و لكن بشرط أن يرسل حماد إبنه القائد فقبل حماد ذلك فأرسل إبنه القائد، وعند وصوله قام المعز باطلاق صراح أخيه إبراهيم الذي كان معتقلا لديه و أعطاه الأموال و الدواب و نزل القائد لدى المعز أحسن ضيافته هذا الأخير و أكرمه و قام بتوليته على المسيلة و طبنة و مرسى الدجاج و سوق حمزة و زواوة (انظر الملحق رقم 3) و عاد القائد إلى أبيه في رمضان سنة (408 هـ -1018 م) و رضي الجميع بهذا الصلح[1]

فبعد أن إتفق المعز و حماد و إنعقدالصلح بينهم الذي كان سنة(408 هـ - 1017 م)قام المعز بالمؤاخاة بين قبائل البربر الذين كانوا غير ملتزمين بالطاعة و ردع المفسدين منهم بالحرب و القتل مما أدى إلى إستقرار الأمن و السلام بين القبائل[2]

عندما إستقرت الأمور بين الدولتين تصاهرا حيث زوج المعز أخته بعبد الله ابن حماد و إزداد إتفاقهم و هذا ما جاء في قول ابن خلدون " ورفعت الحرب أوزارها من يومئذ و إقتسموا المظلة و إلتحموا بالأسحار و إفترقا ملك صنهاجة إلى دولتين دولة على منصور بن بلكين صاحب القيروان و دولة إلى حماد بن بلكين صاحب القلعة"[3]

[1] رشيد بوريبة، المرجع السابق، ص 67

[2] ابن الأثير، المصدر السابق، ص 90

[3] ابن خلدون ، المصدر السابق، ص 210

وما يؤكد على تعاون الدولتين عندما دخلت لعرب الهلالية **فبعث هذا الأخير ألف فارس** لعرب الهلالية إلى بلاد المغرب و ألحقوا بها الفساد و نهبوا ثرواتها بعث المعز برسالة إلى إبن عمه القائد بن حماد بن بلكين يطلب منه أن يتعاونا على صد العرب، ولبى هذا الأخير نداءه و بعث له ألف فارس وقاموا بصد العرب الهلالية[1]

ب- الصلح بين تميم و الناصر :

كان هذا الصلح بعد دخول العرب الهلالية إلى بلاد المغرب و تخريبها فعلم الإثنين ان لا بد لهما أن يتفقا على الصلح وكان ذلك سنة(470 هـ – 1077 م)و انتهى هذا الصلح بالمصاهرة حيث قام تميم بن المعز بتزويجه ابنة عمه بلارة و جهزها إلى الناصر و جهزها من المهدية و رافقها بعساكر عظيمة و مال و ذخائر و كان إستقبال الموكب ببجاية و نزلت العروس بقصرها الذي شيده الناصر و سماه باسمها قصر بلارة [2] و كان ذلك سنة(470 هـ).

كما زوج الأمير يحي بن تميم ابنته بدر الدجى للعزيز ابن المنصور صاحب القلعة فجهزها إليه، و كان ذلك سنة (509 هـ –1115 م)[3]

وبفضل المصاهرة زالت الخلاقات بين الدولتين و إهتم كل منهما بحل مشاكل رعيته و عم الرخاء و الاستقرار داخل الدولتين و لكن كانت لفترات معينة.

2- تبادل السفرات :

[1] نفسه، ص 20.

[2] محمد طمار، المغرب الأوسط في ضل صنهاجة، ديوان المطبوعات الجامعية ،د ت، ص 113

[3] ابن عذاري، المصدر السابق، ص 388.

أ- **سفارة القائد بن حماد :** لما كبر حماد في السن و أنهكته الحروب بينه و بين الزيريين لجأ إلى الصلح حيث بعث إبنه القائد سفيرا إلى المعز إبن باديس لكي يطلب منه الموافقة على الصلح فكان المعز عند حسن الظن وقبل بما جاء به القائد إبن حماد و كتب له ولاية بعض المدن و تبادلا الهدايا[1]

ب- **سفارة الفقيه أبو القاسم بن أبي مالك :** هو سفير القائد إبن حماد، ذكر القاضي عياض توفي 544 هـ نقلا عن ابن الشرف كان بوصف بفقه و ورع و زاهد و رد إلى القيروان رسولا من قبل إبن حماد إلى المعز سنة 38 و عندما كان يتكلم مع المعزكانت لديه فصاحة في لسانه مما أعجب المعز بذلك فأحسن إليه و ألطفه و لقي مسرة منه [2]

ت- **سفارة محمد ابن البعبع :** تم إرساله من قبل تميم ابن المعز إلى القلعة استجابة لرغبة الوزير الحمادي أبي بكر بن ابي الفتوح في عقده الصلح بوحي من الأمير الناصر ابن علناس و هذا ما جاء في قول النويري[3] " و لما كانت هذه الواقعة بين بني حماد و العرب و بلغ النصر مناله ابن عمه تميم من الألم و الحزن" و كان وزيره أبو بكر بن ابي الفتوح محبا في دولة تميم فقال للناصر " يا مولاي ألم أشر عليك بأن تقصد ابن عمك و أن تتفق على العرب فلو اتفقتما لأخرجتما العرب من بلاد المغرب " فصدقه الناصر و رجع إلى قوله و قال له أصلح ذات بيننا فأرسل الوزير رسولا من عنده إلى تميم يعتذر و أنه يرغب في الإصلاح و أراد أن يرسل رسولا إلى الناصر فاستشار أصحابه و أتفقوا على إرسال محمد ابن البعبع غير أن السقير الزيري سمح لنفسه بتجاوز المهمة التي أرسل من أجلها و أشار

[1] النويري، المصدر السابق، ص 114.

[2] قاضي عياض ترتيب المداري و تقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، د ر، د ت، ج8 ، ص78

[3] النويري، المصدر السابق، ص 126.

إلى الأمير الحمادي ببناء مدينة بجاية نظرا للموقع الذي تمتاز به و كثرة شواطئها فأخبره بأن يتخذها مقرا جديدا للدولة لقربها إلى إفريقية حتى يتسهل له الأمر بالاستيلاء على المهدية و عندما علم الناصر إبن المعز بذلك أمر بقتله عند وصوله[1]

3- بناء مدينة بجاية :

يذكر ابن الأثير ما فعلته قبائل بني هلال بعد هزيمة الناصر في معركة سبيبة بقوله " أن بعد الحرب قامت العرب الهلالية بجمع المال و السلاح والأموال واقتسموها فيما بينهم و بهذه المعركة امتلكت العرب البلاد وهكذا كثرت دوابهم وسلاحهم [2]".

أما ابن خلدون فيصف لنا ما أحدثته قبائل بني هلال من خراب ودمار في أراضي الدولة الحمادية حيث يقول " ثم لحق بالقلعة فنازلوها وخربوا وأحبطوا عروشهم وعاثوا على ما هناك من الأمصار، ثم طبنة و المسيلة فخربوها وأزعجوا ساكنيها، وعطفوا على المنازل و القرى و إحتطبوا الشجر وغوروا المياه وأظهروا في الأرض فسادا، بعهدها وهجروا ملوك افريقية والمغرب من صنهاجة وولاة أعمالها في الامصار، وملكوا عليهم الضواحي يتحيفون جوانبهم ويقعدون له بالمرصاد.[3]

ومن هنا غادر الناصرإبن علناس القلعة وإختط بمدينة بجاية التي سوف أتطرق اليها لاحقا.

رغم انتصار تميم في معركة سبيبة إلا أنه تألم وحزن على ما حل ببني عمومته الحماديين، وكان وزير الناصر أبو بكر ابن أبي الفتوح محبا لدولة تميم فقال للناصر يا مولاي ألم أشر عليك ألا تقصد إبن عمك وأن تتفق على العرب، فقبل الناصر وقال له أصلح ذات بيننا

[1] بن سادات نصر الدين، المرجع السابق، ص 49.

[2] ابن الاثير ،المصدر السابق ،ص

[3] ابن خلدون ،المصدر السابق ،ص27

،فأرسل الوزير رسولا إلى تميم يعتذر منه و يرغبه في الصلح ،فقبل تميم ذلك و إتفقا هو و أصحابه على إرسال محمد ابن البعبع، " وقالوا هذا رجل غريب قد شمله إحسانك وبرك وقد إقتنى من أنعامك الأموال والأملاك وهو لا يعرف صنهاجة فما يصلح لهذا الأمر سواه"[1].

فأحضر تميم محمد ابن البعبع وأعطاه دنانير وأرسله مع الرسول الناصر فسار محمد ابن البعبع مع الرسول حمادي ولما وصل إلى قلعة بني حماد سلم كتاب تميم إلى الناصر ثم قال له " معي وصية إليك وأحب أن تخلي المجلس فقال الناصر أنا لا أخفي عن وزيري شيئا فقال بهذا أمرني الأمير تميم فانصرف الوزير أبو بكر"[2].

و قال محمد ابن البعبع للناصر " يا مولاي إن الوزير مخامر عليك مع تميم وهو لا يخفى عنه من أمورك شيء، و تميم منشغل مع عبيدة النصارى قد استبد بهم "و خضعت صنهاجة و تلكاتة و جميع القبائل تحت طاعته، وأنا أشير عليك بما تملك به المهدية وغيرها وذكر له عمارة بجاية و إقترح عليه أن يتخذها دار ملك وطلب منه أن ينتقل إليه بعد تعمير بجاية ويتدبر في شؤون هذه الدولة الجديدة فاقتنع الناصر بما قاله محمد ابن البعبع وسار معه إلى بجاية وترك الوزير بالقلعة[3]

ورسم إبن بعبع المدينة و الميناء و مكان القصر في مخيلة الناصر وطلب منه أن يباشر بالبناء في الحين فشكره الناصر و عاهده على وزارته وولوا بالرجوع إلى القلعة[4].

[1] النويري، المصدر السابق، ص 124.

[2] رشيد بورييبة، المرجع السابق، ص 67.

[3] النويري، المصدر السابق، نص 125.

[4] رشيد بورييبة، المرجع السابق، ص 66.

فقال الناصر لوزيره إن هذا الرسول محب لنا و لقد اقترح عليَّ ببناء مدينة بجاية ويريد الانتقال إلينا بالأهل والولد فاكتب له الجواب.

وسار الرسول مع محمد ابن البعبع إلى تميم بعدما طلب من الناصر أن يرسل معه بعض من يثق يهم ليشاهد الأخبار و يعود بهم فأرسل مع رسول الناصر أنه لما إجتمعت بتميم لم يسألني عن شيء قبل سؤاله عن بجاية فقد عظم أمره و اتهمني[1]، فانظر إلى من تثق به من العرب وترسلهم إلى موضع متفق عليه في الرسالة وقد أخذت عهود قبيلة زويلة وغيرها على طاعتك، فلما قرأه الناصر استشار وزيره في ذلك و قال له قد نصح و بالغ في الخدمة فلا تؤخر عنه إنقاذ العرب ليحضر معهم و عندما ولى الوزير إلى بيته كتب نسخة الكتاب و أرسل الكتاب الذي بخط الرسول إلى تميم و كتابا آخر يذكر له الحال من أوله إلى آخره، عندما علم تميم بذلك جعل من يحرصه من حيث لا بشعر فأتاه بعض الحرص و أخبره بأن محمد ابن البعبع أحضر الشريف الفهري للعشاء (كان هذا الشريف من خواص تميم) و في الصباح إستدعى تميم الشريف الفهري فحضر وحدثه قائلا : " إن محمد ابن البعبع دعاني و قال لي " إني في ذمامك و حسبك أحب أن تعرفني من أين أخرج من المهدية، فأنت أعرف الناس بذلك فقلت له ولم تفعل ذلك وأنت في هذه المنزلة الكبيرة مع مولانا تميم ؟ " فقال إنه" إتهمني أني أشرت على الناصر ببناء بجاية، وقد قلت له " يا أبا عبد الله إن كنت سالما من قول قلته أو أمر أبرمته فلا يناله " فسيدنا تميم رجل طيب لا يسوء فيه الظن" فقال لي ليس لدي القدرة على المقام هنا " فقلت له " سوف أنظر في أمرك هذا و أعرفك بمن تثق بهم من العرب[2]

[1] النويري، المصدر السابق،ص125

[2] نفسه،ص126

فأوقفه تميم على الكتاب الذي يخصه و أمره بإحضاره فذهب الشريف لإحضاره و في طريق عودتهما إلتقيا بماضي بن عكابش فقال له يا أبا عبد الله الهلاليون قد وصلوا إلينا البارحة و هذه الكتب قد وصلت منهم فأمسكها الشريف من يده فقال له ابن البعبع " أستر عليَّ ستر الله عليك " و طلب محمد ابن البعبع من الشريف أن يسلمه هذه الرسائل فقال له الشريف " خذها فو الله ما ينفعك أخذها" بعدها خرج تميم ابن المعز ليستقبلهما في باب قصره فجزع إبن البعبع عندما رأى تميم و سقطت من يده الكتب و إذا بعنوان فيه " من الناصر ابن علناس إلى شيخنا و خليلنا " قال له تميم من أين لك هذه الكتب فسكت وقرأها ابن تميم فتأكد من كلام الشريف ابن الفهري قام ابن البعبع و بدأ يطلب العفو من تميم لكنه لم يعفوا عنه وأمر بقتله.[1]

4- الأخطار الخارجية وسقوط الدولتين:

بعد الانقسام الذي حدث للدولة الصنهاجية و الحروب التي وقعت بينهم أدت إلى إضعاف كلا الطرفين، و عدم قدرتها على الوقوف أمام الأخطار سواء كانت داخلية أو خارجية، حيث فشل في تصدي أول خطر الذي كان من المشرق و هم العرب الهلالية، فلو كان أمراء الدولتين متفقين من البداية لاستطاعوا إخراج العرب من المغرب و منعهما من الدخول اليه و العبث فيه.

ولقد كثرت حركات التمرد التي عرفتها الدولة الزيرية مما جعلها فريسة سهلة للعدو الذي كان ينتظر الفرصة في السيطرة عليها بعدما استنفذت قواها في اخماد الثورات الداخلية و التمردات ،ومن بينها نذكر:

[1] النويري ،المصدر السابق،126

تمرد مدينة سوسة :(448هـ- 1053م) حيث خرج أهل سوسة على طاعة المعز ابن باديس وفتحها تميم سنة (455 هـ-1063 م)[1] إضافة إلى تمرد مدينة قابس بعدما حاصرها المعز سنة(474 هـ - 1081م) وفي سنة(486 هـ- 1093م) حاصرها تميم مرة أخرى، وأقام عليها حتى فتح ربطها[2] ليعود ويخرج منها أخاه عمر ابن المعز سنة (489 هـ- 1096م) الذي كان قد ولاه عليها[3]، وحاصرها علي ابن يحي سنة (511 هـ - 1117 م) فضيق على من بها و أفسد ما بها ثم رجع إلى المهدية[4]

و لقد حاصر المعز إبن تميم مدينة سفاقس وقابس في زمن واحد وكان ذلك في سنة (479 هـ -1086 م)[5] وفتح سفاقس مرة أخرى سنة (493 هـ-1100 م) وخرج منها حمو بن مليل والي سفاقس فقصد إبن كامل الدهماني فأحسن إليه وأقام عنده حتى مات[6] وحاصرها علي بن يحي سنة (511 هـ-1117 م)[7] وفي سنة (499 هـ .1105) تمردت جزيرة جربة فوجه تميم إبن المعز إليها أسطول بقيادة أبي الحسن الفهري فوجد أهلها في أتم الاستعداد لهم فلم يتم أي شيء في أمرها، وكان ذلك سنة(510هـ-1116م)[8]

ففتحها علي إبن يحي بعدما أقر أهلها بالطاعة به نتيجة الحصار الذي أقامه أسطوله.

---

[1] ابن عذاري، المصدر السابق، ص 321 ، 327، 331.

[2] نفسه، ص، ص 331، 332.

[3] النويري، المصدر السابق، ص 129.

[4] النويري، المصدر السابق، ص 134.

[5] ابن عذاري ، المصدر السابق، ص 230

[6] النويري ، المصدر السابق، ص 130.

[7] ابن عذاري، المصدر السابق، ص 339.

[8] نفسه، ص 333، 339.

وقام أمراء الدولة الزيرية في إخضاع المدن المتمردة تحت سلطتهم و لكن سرعان ما شق عنهم عصى الطاعة. و هذا يدل على ضعف قوتهم و نفوذهم مما جعل العدو الخارجي يستغل هذه الأوضاع، فكان دخول جيش الروم إلى مدينة المهدية سنة (580 هـ-1184م) مستغلين غياب الجيش الزيري الذي كان منشغلا في حصار بعض مدن دولته وجرد كافة الناس من أسلحتهم و عدتهم وقاموا بتهديم الأسطول و الأسوار[1].

و حدث خلاف بين أمير الزيري علي بن يحي وصاحب صقلية روجار حيث بعث هذا الأخير برسول يطلب فيه تجديد العقود وتأكيد العهود والاموال التى كانت موقفة بالمهدية فرد عليه رسوله دون جواب من الأمير الزيري وهذا ما أدى على غضب روجار صاحب صقلية فزاد كرهه إلى الأمير الزيري وازدادت و حشيته[2].

فبدأ الإفرنج يستولون على المدن الزيرية مدينة تلو الأخرى، وفي سنة (529هـ-1134م) إستولوا على مدينة جربة الذي كان أهلها لا يدخلون تحت طاعة أي سلطة.[3]

و في سنة (538هـ -1143م) دخلت مدينة سفاقس تحت طاعته[4].

وفي سنة(543 هـ .1149م) إستولى الإفرنج على مدينة المهدية بعدما فر أهلها دون قتال، ومنح روجار الأمانة للعرب في دخول المدينة و أحسن إليهم و أعطاهم الأموال[5] و عند استقرار روجار في مدينة المهدية كتب رسائل أمان إلى جميع أهل إفريقية ووعدهم بمواعيد

[1] ابن عذاري، المصدر السابق، ص 139

[2] نفسه، ص 340.

[3] النويري، المصدر السابق، ص 135.

[4] ابن عذاري، المصدر السابق، ص 346.

[5] النويري، المصدر السابق، ص138

حسنة، وبالتالي حكمت الإفرنج بلاد المغرب حيث امتدت من طرابلس إلى تونس ومن المغرب إلى دون القيروان[1]

و هكذا زالت الدولة الزيرية بخروج الحسن بن علي بن تميم من المهدية[2] وإستيلاء الإفرنج على بلاد إفريقية.

- **الدولة الحمادية** : لقد اتفق كل من ابن الخطيب وابن خلدون في وصف آخر أمراء الدولة الحمادية يحي بن عبد العزيز انه كان مولعا بالصيد واللهو حتى انقضت أيام الدولة وقيام قبائل صنهاجة[3]، وهذا ما يبرهن حالة الضعف التي كان فيها آخر أمراء الدولة الحمادية التي تمهدت بسقوط على ايدي الموحدين.

في سنة(543هـ .1149م) وصل يحي بن العزيز إلي القلعة لينقل مابقيّ اذ ينتقض عليه بنو زار بن مروان، فجهز إليه الفقيه مطرف بن علي بن حمدون العساكر وفتحها عنوة ،وتقبض علي بن مروان وسجنه بالجزائر إلي أن هلك في معتقله ،وبعث مطرف بابنه إلى تونس فافتتحها ،ورجع إلى بجاية وانتصر على النصارى الذين ببجاية.[4]

. دخول الموحدين لمدينة بجاية:

[1] النويري، المصدر السابق، ص 138.

[2] نفسه، ص 139.

[3] ابن خلدون، المصدر السابق، ص 235.

[4] ابن خلدون، المصدر السابق،ص235

أيقن يحي بن عبد العزيز انه غير قادر علي الوقوف في وجه النورمان ،الذين دخلو المهدية وسيطرو علي الساحل الشرقي ودخلوا بونة ،لذلك وجب ألا يحتفظ بالدولة الحمادية[1]

فتوجه من سبتة في صفر سنة (547هـ1152م) فأسرع السير،وطوي المراحل، فلم يشعر أهل بجاية إلا وهو في أعمالها وكان ملكها يحيى بن عزيز بن حماد أخر ملوك بن حمادة، فلما وصل الخبر إلى ميمون بن حمدون، جمع العسكر وسار عن بجاية نحو عبد المومن فلقيهم في المقدمة يزيد عشرين ألف فارس فانهزم أهل بجاية من غير قتال ، ودخل جيش عبد مؤمن بجاية قبل وصول قائدهم بيومين، و تفرق جميع عسكر يحى بن عزيز و هربوا برا و بحرا ، و تحصن يحيى بقلعة قسنطينة ، وهرب أخواه الحارث عبد الله الى صقلية، و دخل عبد المومن بجاية ، و ملك جميع بلاد يحيى بن عبد العزيز بغير قتال لكن لم يستغني عبد مومن عن يحيى بن عبد العزيز فبعد أن فتح المهدية جعله فيها و أمر واليها بأن يقتدي برأيه ولما فتح عبد مومن بجاية لم يتعرض إلى مالها أو أهلها بسبب بني حمدون أستأمنوه فوفى الامانة [2]

أما ابن خلدون فيذكر "انه أخرج أخاه سبع للقاء الموحدين فانهزم" و ملك الموحدون بجاية و ركب يحيى البحر إلى صقلية و منها إلى بغداد ثم نزل في بونة عند أخيه الحارس فأخرجه

[1]ابي بكر بن علي الصنهاجي المكني بالبيذق ،اخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الوحدين، الرباط دار المنصورية ،1971، ص73

[2] ابن الاثير، المصدر السابق ،ج9،ص 185

هذا الاخر من البلاد فارتحل الى قسنطينة فنزل على أخيه الحسن فتخلى هو الاخر عليه فدخل الموحدون القلعة عنوة ، ودخل معهم حوشن بن عزيز وأبن الدحماس من الاثبج و خربت القلعة ، ثم بايع يحيى عبد مومن سنة (547هـ .1152م) ونزل با قُنَيْبِسَة ، ثم نقله الى مراكش فسكنها ثم إنتقل إلى سُلاَسِية سنة(585هـ .1189هـ) فسكن قصر بنو عشيرة الى أن هلك في نفس البيئة ،أما الحارس صاحب بونة ففرا الى صقلية وطلبة مساعدة في أمره فساعده و أرجعه إلى بونة ثم غلب عليه الموحدون و هكذا إنقرض ملك بني حماد .[1]

[1] ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص 236

الخاتمة

الخاتمة

وفي الأخير وبعد دراستي لموضوع العلاقات بين الدولتين الزيرية والحمادية، من خلال كتاب "نهاية الأرب في فنون الأدب"، توصلت لاستخلاص النتائج التالية:

– يعد شهاب الدين النويري، أحد المؤرخين المشارقة المتميزيين في الجمع بين فني الأدب والتاريخ، وتوظيفه لهما في تتبع الأحداث التاريخية ذات الصلة بالفترة الوسيطة، خاصة ما تعلق منها بموضوع دراستي.

– اختلفت المصادر في تاريخ وفاة النويري ونسبه، مما جعل المادة العلمية متنوعة في التحدث عن شخصيته .

– حدث تحول في حياة النويري، فبعدما كان يزهد في الوظائف السلطانية، انقطع عن مباشرة الوظائف الديوانية، وتفرغ للعلم والتأليف، ونشط في الكتابة والنسخ، والمطالعة والتدوين.

–اختلال الأوضاع السياسية على عهد الدولة المملوكية بمصر، دفع بعدد كبير من المؤرخين ومن بينهم النويري، اللجوء لتأليف الموسوعات، من أجل حفظ تراثهم وتاريخهم فكتب موسوعته في ثلاثة وثلاثين جزءا.

– ظهور الدولة الزيرية خليفة الفاطميين على بلاد المغرب، بعد انتقالهم إلى مصر واستقرارهم بها.

– ظهور حماد على مسرح الأحداث في عهد ابن أخيه باديس، وقضائه على التمردات التي حدثت داخل البيت الزيري، وبعد هذه الانتصارات، أظهر نيته في الاستقلال عنه، ببنائه القلعة التي نسبت إليه سنة (398هـ/1007م)، وتعميرها بالسكان المستقدمين من مختلف المناطق المجاورة، وتطويرها مما أدى فيما بعد إلى تأزم العلاقة بينه وبين باديس.

– تطور الخلاف بين أبناء العمومة، أدى إلى مواجهات عسكرية متعددة بينهما، تكبد فيها الطرفان خسائر مادية وبشرية معتبرة، كما يذكره النويري وغيره من المؤرخين (الأمراض والأوبئة والمجاعات).

– ومن المعارك العسكرية التي حدث بينهما، نذكر: شنقبارية، وشلف، حيث نتج عن هذين الواقعتين، انقسام الأسرة الصنهاجية، إلى دولتين زيرية وحمادية، وذلك رسميا بمقتضى مرسوم الصلح الموقع بين الطرفين سنة 408هـ/1018م على عهد المعز بن باديس الزيري وحماد بن بلكين، حيث قامت الدولة الزيرية بالمغرب الأدنى في إفريقية، والحمادية في المغرب الأوسط بعاصمتها القلعة، وإعلان حماد استقلال دولته، وبناء كيان خاص به حكمها تسع أمراء، لتسقط أخيرا في يد الموحدين سنة 547هـ/1152م.

– دخول العرب الهلالية لبلاد المغرب بتحريض من الفاطميين، انتقاما من المعز الذي قطع الصلة معهم سياسيا ومذهبيا، وتمكينه للمذهب السني وذهبا رسميا لدولته.

– تأثير المواجهات السياسية العسكرية على أحوال الدولتين، دفع الطرفين إلى الجنوح للسلم بينهما، بعقد الصلح بينهما، وتوثيق وتمتين الراوبط بينهما بالمصاهرة، وتبادل السفارات.

– تأسيس مدينة بجاية التي تعتبر العاصمة الثانية للحماديين، باقتراح ابن البعبع السفير الزيري للحمادي على عهد أميرها الناصر بن علناس، وذلك عقب تطويق العرب الهلالية لأحواز قلعة بني حماد (معركة سبيبة).

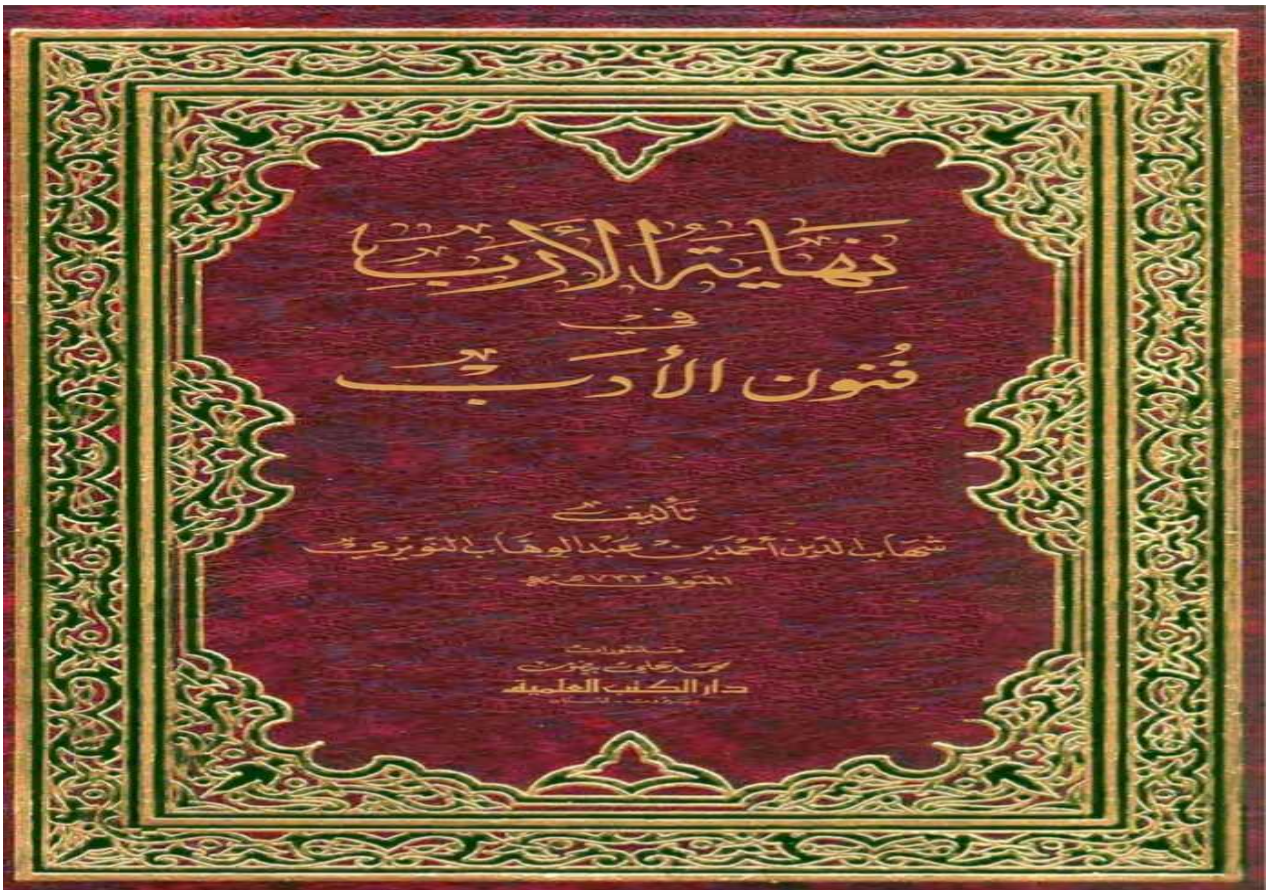
– تمرد القبائل الزيرية على أمرائها، أدى إلى ضعفها، مما سهل على العدو النورماني الذي كان يترصدها طوال الوقت، مكنهم من دخولها دون عناء أو مواجهات عسكرية، فكانت المهدية أولى المدن التي دخلها النورمان، اعتبارا لموقعها الجغرافي التي تتميز به.

الخاتمة

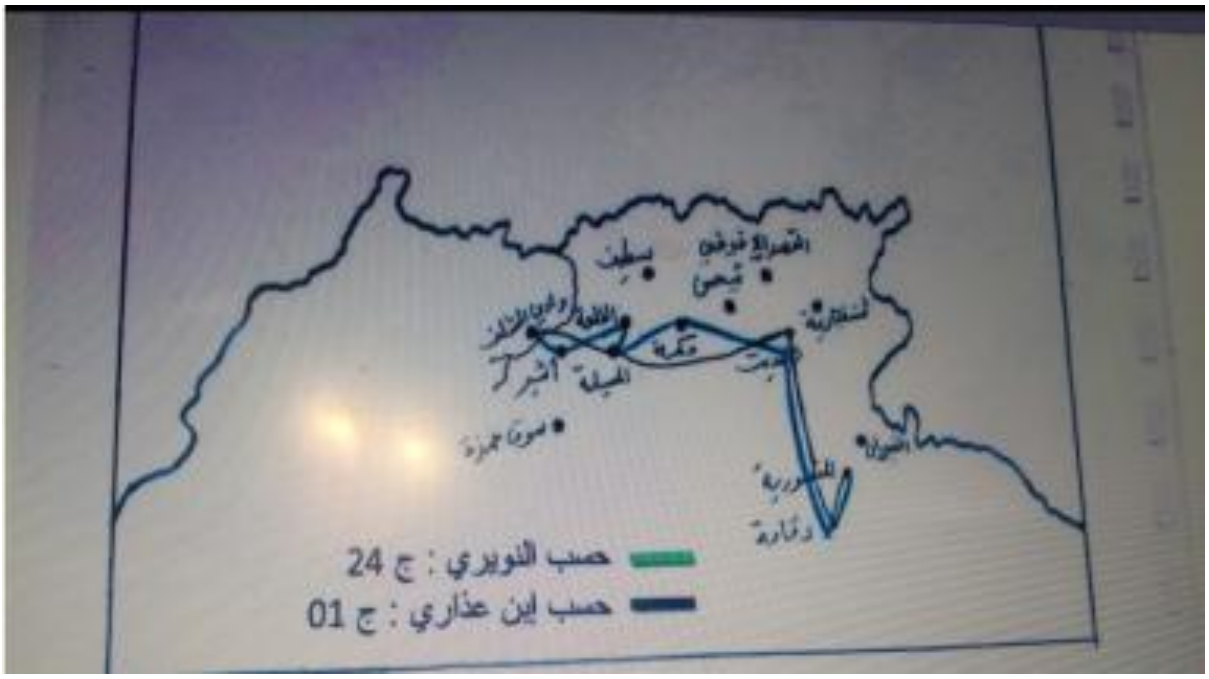
وفي الأخير أقول أن الصراع السياسي وعدم الاستقرار، يؤدي إلى عدم السيطرة على الأوضاع الداخلية للبلاد، وبالتالي يؤدي إلى ضعف الدولة.

الملاحق

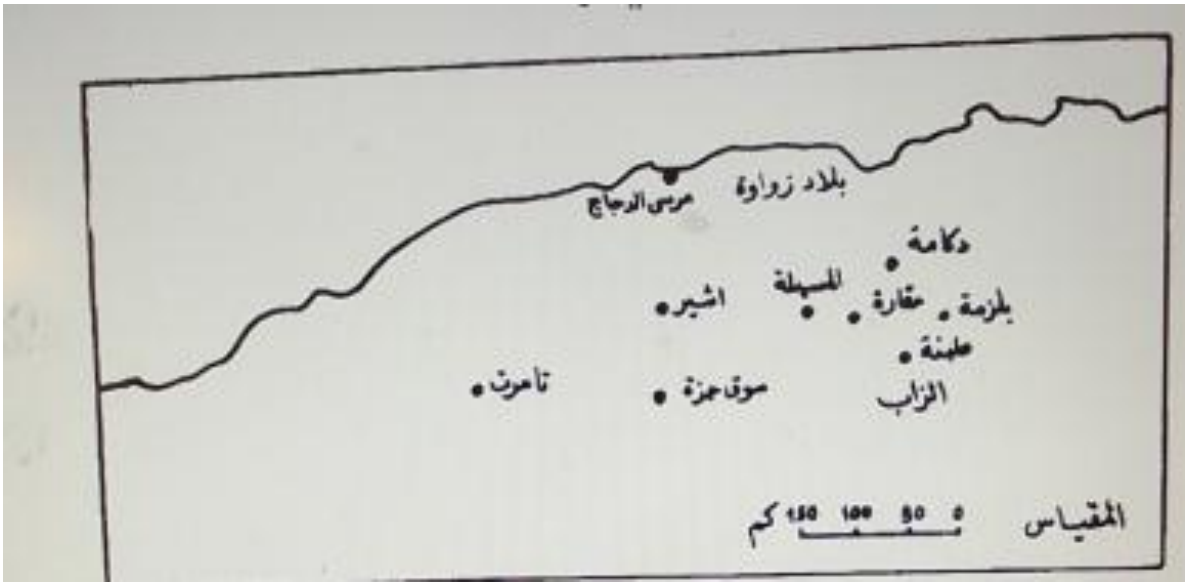
الملحق رقم 01 : واجهة مصنف نهاية الأرب في فنون الأدب



الملحق رقم 02 : سير المعز بن باديس لحرب حماد بن بلكين إلى واد الشلف

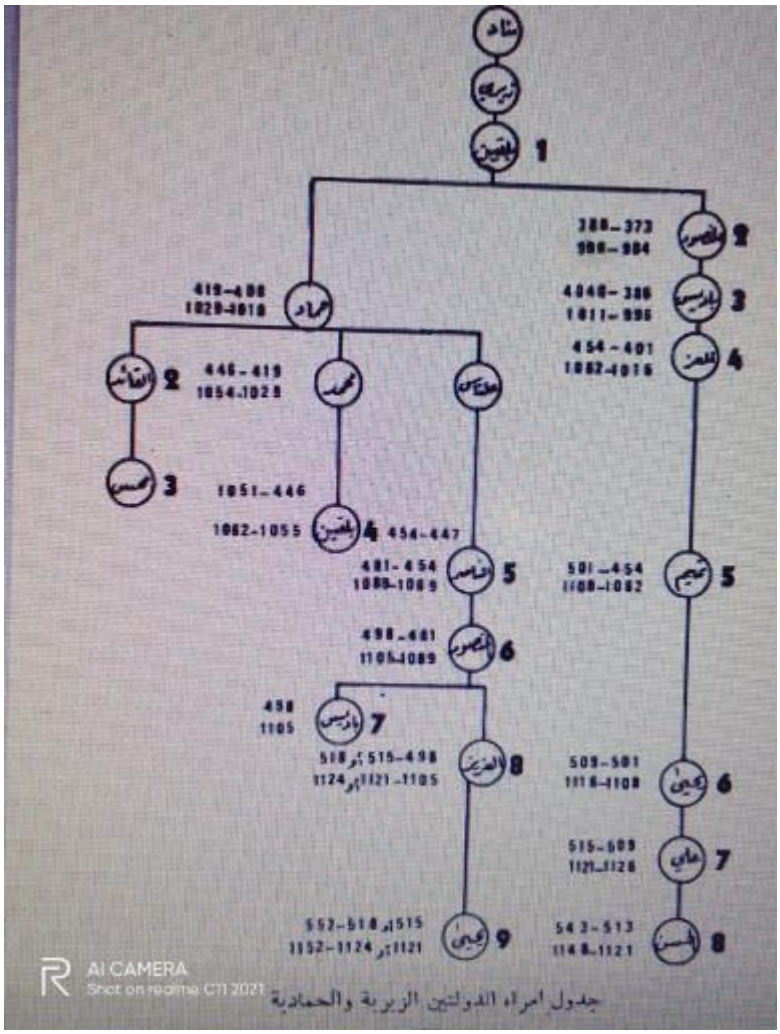


الملحق رقم 03 : المدن و المناطق التي عقدها المعز على حماد و ابنه القائد [1]



[1] رشيد بورييبة، المرجع السابق،ص40

الملحق رقم 04 : مخطط أمراء الدولتين الزيرية و الحمادية



قائمة البيبليوغرافيا

أولا–المصادر:

1– أبو الفداء عماد الدين إسماعيل، المختصر في أخبار البشر، تح: محمد زينهم عزب، دار المعارف، د–ت، ج4.

2–ابن الأثير الجزري، أبو الحسن علي بن أبي الكرم(ت 630هـ/1222م)، الكامل في التاريخ، تح: محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، ج8، ج9، 1987م.

3– الأدفوي أبو الفضل كمال الدين جعفر، الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد، تح: سعد محمد حسين، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، 1966م.

4–البغدادي إسماعيل باشا، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين وكالة المعارف، اسطنبول، 1951م.

5–ابن ثغري بردي جمال الدين أبي المحاسن(ت874هـ)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط1، 1942م.

6– ابن ثغري بردي جمال الدين ابي المحاسن(ت 874 هـ)المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تح: محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج1، 1984م.

7– الحموي شهاب الدين أبو عبد الله بن ياقوت البغدادي، (ت626هـ)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ج1، ج3، 1977م.

ابن خلدون عبد الرحمان، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الفكر، بيروت، ج6، 2000م.

8–الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد(ت748هـ)، سير أعلام النبلاء، تح: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، ط1، 1996م.

9-السبكي تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي (ت771هـ)، طبقات الشافعية الكبرى، تح: محمود محمد الطناهي وعبد الفتاح الحلو، دار الأحياء الكتب العربية، 1964م.

10- الصفدي صلاح الدين بن أبيك(ت674هـ)، أعيان العصر وأعوان النصر، تح: علي أبو زيد وآخرون، دار الفكر، دمشق سوريا، 1998م.

11-ابن عبد ربه الحفيد(عاش في القرن6هـ/ 12م)، الاستبصار في عجائب الأمصار، تح: سعد زغلول عبد المجيد، دار الشؤون الثقافة العامة.

12-ابن عذاري المراكشي، أبو عبد الله أحمد بن محمد (كان حيا سنة 712هـ/1321م)، البيان المغرب في أخبار ملوك الأندلس والمغرب، تح: بشار عواد محمد بشار، دار الغرب الإسلامي، تونس، ج 1، 2013م.

13-العسقلاني ابن حجر شهاب الدين أحمد بن علي، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، دار المعارف، الهند، 1931م.

13- علاء الدين علي رضا، نهاية اللإغتباط بمن رمى من الرواة بالاختلاط، دار الحديث، القاهرة، 1988م.

14- المقريزي تقي الدين أحمد بن علي ، اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الخلفاء، مطابع الأهرام التجارية، قليوب، د.ت، ج1.

15-ابن منظور هشام بن محمد بن السائد الكلبي (ت604هـ)، جمهرة النسب، تح: ناجي حسن، مكتبة النهضة العربية، بيروت، 1986م.

16-النويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب(ت733)، نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 2004م.

ثانيا- المراجع:

1-أبو ضيف مصطفى أحمد، تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1984م.

2- إدريس روجي الهادي، الدولة الصنهاجية تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن العاشر إلى القرن الثاني عشر، تر: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج1، 1962م.

3-بورويبة رشيد، الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977م.

4- الجيلالي عبد الرحمان، تاريخ الجزائر العام، دار مكتبة الحياة، الجزائر، 1965م.

5-الزركلي خير الدين، الأعلام قاموس التراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم، لبنان، 1986م.

6-عويس عبد الحليم، دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، مكتبة الإسكندرية، القاهرة، ط2، 1991م.

7-القمي عباس، الكنى والألقاب، مكتبة الصدد، طهران، د.ت.

8-محمد جمال الدين أمينة، النويري وكتابه نهاية الأرب في فنون الأدب مصادره الأدبية وآرائه النقدية، دار ثابت للنشر والتوزيع، القاهرة، 1984م.

9- الندوي عبد الحليم، منهج النويري في كتابه نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الفكر، دمشق سوريا، 1987م.

10-هيصام موسى، الجيش الجزائري في العهد الحمادي (405-574هـ)، مديرية الثقافة لولاية المدية، 2000م.

ثالثا-المجلات:

1-الديلمي عامر حمد الجدعان، **حياة شهاب الدين النويري ومنهجه في كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب**، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، ع73، جامعة الأنبار، 2020م.

2-لزرويل صالح، **نفوسة الزيرية وورجلان الحمادية ق(5-6هـ/11-12م)**، **مجلة روافد للبحوث والدراسات**، مخبر الجنوب الجزائري للبحث في التاريخ والحضارة الإسلامية، ع4، جامعة غرداية، 2018م.

3-بن سادات نصر الدين، **المغربان الأدنى والأوسط تحت الحكم الزيري**، د.ع، جامعة وهران، د.ت.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

العنـــــوان	الصفحة
العنوان	
البسملة	
الاهداء	
المقدمة	01
المبحث الاول التعريف بالكاتب والكتاب والدولتين الزيرية والحمادية	08
1–ترجمة المؤلف	12
أ–سيرته الذاتية	12
ب–سيرته العلمية	14
ج–عصره السياسي والثقافي	16
2–ترجمة المصنف	17
ا– الدراسة الظاهرية	17
ب–الدراسة الباطنية	18
ج –اهمية المصنف	23
2– التعريف بالدولتين الزيرية والحمادية	23

ا–الدولة الزيرية	26
ب–الدولة الحمادية	26
المبحث الثاني :العلاقة السياسية العسكرية لدولتين الحمادية والزيرية	29
1–العلاقة السياسية بين الدولتين الزيرية الحمادية	29
أ–انقسام الدولة الصنهاجية وظهور الدولة الحمادية	30
ب– التدخل الزيري الحمادي	31
ج–التدخل الحمادي الزيري	32
2–العلاقة العسكرية بين الدولتين الزيرية الحمادية	33
ا–معركة شنقبارية	33
ب–معركة وادي شلف	35
ج–معركة سبيبة	39
المبحث الثالث :مضاهر تاثير العلاقات السياسية والعسكرية علي الدولتين الحمادية والزيرية	48
1–الصلح والمصاهرة	48
2–تبادل السفارات	49
3–بناء مدينة بجاية	51
4–الاخطار الخارجية وسقوط الدولتين	54

خاتمة	61
ملاحق	65
قائمة البيبليوغرافيا	70
الفهرس	75